مقالات رائعة دون توقيع

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

***

ما اكثر ما تخرج المطبعة العربية من الكتب في هذه الآونة ! حتى لا تكاد تمر ساعة واحدة دون خبرٍ عن كتاب جديد يرى النور ، فتتلقفه ايدي القراء متبرعين ، وقد دعا هذا النشاط الى عكوف المؤلفين على الانتاج الدءوب وفيهم من يرعى امانة التأليف فيجتهد وينصب ، ومن يكتفي بيسر الوصول الى المطبعة دون عائق فيضحل ويسف ! ويخرج كتابه هزيلا نحيلا ثم لا يكتفي بما فاز ، بل يظل يطرق الابواب ليجد مقرظا يتحدث عن نبوغه في اسهاب ، ولا يزال يتعقب ارباب القلم سائلا ملحا ليحظى بتنويه كاذب بغيض ، بل ان في هؤلاء — كما علمنا — من يكتب التقريظ لكتابه ليوقعه باسم غيره على اتفاق متعارف بينهما ، اذا كان صاحب التوقيع ذا حقيقة معلومة ، اما اذا كان مجرد اسم موهوم ، فلا اتفاق .

ان هؤلاء المتكالبين على التقريظ من غير بابه المشروع في حاجة الى مثل انسانية حية تذكرهم بسوء ما يقترفون ، ومن المؤسف انك تتلطف في تنبيههم على الحق كي يقفوا عند اللائق المشروع فيظنونك حاقدا ينفس عليهم قوة التأليف ، ورواج النشر ، ثم هم مع ذلك يسدون عليك كل ثنية ليتسولوا بعض ما يرضيهم من التنويه ، واذا كان المثل الحي المشتهر في التواضع العلمي مما يغني عن الوعظ الخلقي الذي لا يجد صدى في نفس مستمع مغرور ، فاننا نضرب المثل لهؤلاء الاغرار بأديب العربية ، وحامل امانة التحقيق العلمي ، والرواية الادبية ، المغفور له الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي طيب الله ثراه ، وقراء الآثار الادبية الرصينة يعرفون مكانة الرجل الكبير في الفحص والتتبع والتحقيق ، ولن نتحدث عنه بأبلغ ما تحدث به صديقه الكاتب الخالد الاستاذ احمد حسن الزيات ابلغ كتاب البيان في عصره حيث قال في ترجمته :

« لقد وقف اسعاف النشاشيبي نفسه ووقته وجهده على دراسة الاسلام الصحيح في مصادره الاولى وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها في منابعها الصافية ، فكان آية من آيات الله في سعة الاطلاع ، وكثرة الحفظ ، وتقصي الاطراف ، وتمحيص الحقائق ، ولم يكتب للشهرة والمجد ، انما كان يكتب للعصبية والعقيدة اخلص لله فأخلص لقرآنه ، واخلص لمحمد فأولع بلسانه ، فاذا جلس للناس في القدس او في دمشق او في القاهرة ، كان مجلسه ندوة علم وادب وفكاهة ، لا تذكر مسألة الا كان له عنها جواب ، ولا تروى حادثة الا ورد له عليها مثل ، ولا يحضر ندوته اديب مطلع الا جلس فيها جلسة المستفيد ، لا تستطيع ان تذكر له كتابا من كتب العربية لم يقراه ، ولا بيتا من شعر الفحول لم يحفظه ، ولا خبرا في تاريخ العرب والاسلام لم يروه ، ولا شيئا من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الامثال لم يعلمه ، فهو من طراز ابي عبيدة والمبرد ، لذلك كان اكثر ما يكتب تحقيقا واختيارا وامالي ، وكان خاتم طبقة من الادباء اللغويين المحققين لا يستطيع الزمن الحاضر بثقافته وطبيعته ان يجود بمثله » .

وموضع الشاهد في هذا التعريف الموجز البليغ هو قول الاستاذ الزيات عن النشاشيبي انه لم يكتب للشهرة والمجد انما كان يكتب للعصبية والعقيدة وهو قول مجمل نفرد هذا المقال لتفصيله لنصل الى ما نريد من العظة والاعتبار .

كانت جريدتا البلاغ وكوكب الشرق اليوميتان ، ومجلة الرسالة الاسبوعية تظهر على القراء ببحوث علمية مسهبة ذات نظر وغوص وتحقيق دون ان تحمل توقيعا لكاتبها ، اذ كان صاحبها المتواضع يكتفي تارة بحرف (ن) وتارة بكلمة (قارىء) وتارة بثلاثة انجم ، وتارة بعبارة (ازهري بالمنصورة) ثم اجيز بكلمة (السهمي) والفاحصون ممن يصبرون على دسامة هذه البحوث يقرأونها بتوقيعاتها المتنوعة ، فيجدونها ذات نسيج خاص ، فهي تنبىء عن مصدر واحد لا يختلف ، فيذهبون في ظنونهم كل مذهب وقد اعانهم اسعاف النشاشيبي على التيه والحيرة ببعض ما اختار من التوقيعات ، فان توقيعه (ازهري بالمنصورة) ان صلح لمثلي ممن تعلم في الازهر وعلم في كلياته واقام بالمنصورة فانه يبعد كل توهم يحوم حول النشاشيبي اذ لم يكن العلامة الكبير ازهريا بمرباه وتعليمه ، كما ان هذا اللغوي الضليع لم ير المنصورة طيلة حياته فكيف اختارها دون القاهرة او بيروت او دمشق او الاسكندرية او القدس وكلها مما سعد بزيارته لمدة تقتصر او تطول ! وكانت بحوث النشاشيبي من الدسامة والدقة والعمق بحيث جعلت البحث عن كاتبها ظمأ لاهثا يتطلب الري والاشباع ، وهو مع هذه التعمية الشديدة لا يأخذ بيد متفحص يهجس ويحدس ، كما انه قد اخذ على الاساتذة حافظ عوض وعبد القادر حمزة واحمد حسن الزيات موثقا الا يخبروا احدا عن حقيقته ، ثم هو يرجع فيما يرجع الى بعض المصادر المخطوطة التي توجد في مكتبته وحده ، وعشاق المعرفة في حاجة الى مراسلته ليردوا مورده وليستعيروا

بعض ما لديه ، وكلما طلع عليهم ببحوثه الفريدة تساءلوا عنه دون اهتداء ، ولعل من عجائب مقالاته الناقدة ، ومختاراته الفريدة انها تجمع بين اللغة والبلاغة والنحو والصرف والسيرة المحمدية والتاريخ الاسلامي في نسق رائع يدهش قارئه لما رأى من وفرة المصادر ، ووعى من قوة الحقائق ، وروى من عيون الشعر ، وقد امتدت هذه البحوث المقنعة سنوات عدة لم يسفر صاحبها عن وجهه ، حتى كانت سنة ١٩٤١ وهي السنة التاسعة من عمر مجلة الرسالة فنشر الاستاذ النشاشيبي عدة بحوث نقدية دقيقة للجزء الاول من كتاب (العقد الفريد) اذ حققه الاساتذة الافاضل احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري تحقيقا جيدا ممتازا ، ولكن النشاشيبي رأى من تحقيقه ما يتسع لسلسلة متتابعة من دقيق النقد نحوا ولغة وتاريخا ورواية فأتى بما ادهش واعجب ، حتى ان العلامة اللغوي الكبير الاستاذ احمد العوامري بك عضو مجمع اللغة العربية وكبير مفتشي اللغة بوزارة المعارف لعهده لم يتمالك ان وجه الى الناقد الكبير خطابا علنيا على صفحات العدد (٤٠٤) من مجلة الرسالة تحت عنوان (اعجاب وتقدير) يقول فيه :

ايها الاستاذ الجليل

اني ليطربني ان اقرأ لكم هذه المقالات القديرة الزاخرة بالفائدة في نقد الطبعة الاخيرة من (العقد الفريد) وليست هذه النقدات وحدها هي التي ستبني من عملك العزيز ، واطلاعك المنقطع النظير ، واحاطتك بما تكنه ضمائر اسفار السابقين الاولين من ائمة اللغة وحفاظها ، بل تتبعت في الرسالة الغراء كل ما دبجته يراعتك ، منذ اول عهدك بها ، لم يفتني منه فائتة ، بل لقد اتخذت منه دروسا اعكف عليها ، واتوفر على الافادة منها ، والتضلع من معينها الفياض ، واني لأعجب يا سيدي كل العجب ، في هذا العصر الذي يباهى فيه بالقشور وسخف القول ، كيف تتستر وتحتجب ، وتقف في تواريك هذا وعزلتك مرشدا وهاديا ، لا تبتغي غير خدمة وطنك ولغتك ، وان اسفت على هذا التستر والاحتجاب فانما اسفي على امثالي من طالبي المعرفة ، يودون لو اتيحت لهم فرصة لقائك ، ليستزيدوا منك ، وليتحلوا بما يشهدون فيك من كمال الخلق ، ولكنك زهدت في نباهة الذكر ، وعفت الاعلان ، وآثرت العمل في جو خال من الصخب والضوضاء .

ضربت يا سيدي المثل في التواضع وانكار الذات ، وضربته في طهر قلمك من لوثة الزهو والعجب والمباهاة فليتعلم من هذا المثل الصالح من يتصاولون على صفحات الجرائد والمجلات فيدعون ما يتصاولون من اجله ويخرجون الى ميادين العيب والتجريح ، ليتعلم هؤلاء منك ومن امثالك الاعفاء ان يقصروا اقلامهم على ما يدافعون عنه من عقيدة ! فالحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، ولينسوا انفسهم واهواءهم في سبيل الحق ، وليدعوا شهوة الانتقام والتشفي ، فان اوقات القراء لأنفس من ان تبعثر في مثل هذا اللغو والزور من القول ، مزيدا مزيدا ايها الباحث الجليل فانا الى علمك وفضلك وخلقك عطاش (أ.ع) .

ويرى القارئ ان خطاب احمد العوامري بك قد جاء موقعا بالحرفين (أ.ع) وكذلك كان توقيعه الدائم في مختتم كلماته الكثيرة التي اخذت تتوالى بمجلة الرسالة عدة سنوات ، فكأن الرجل الكبير قد آثر الرمز المتواضع اقتداء باسعاف النشاشيبي ، وان كان الاستاذ الزيات قد ألمع من طرف خفي الى موضعه الجليل حين شاء ان يخصه بوصف (الاستاذ الكبير أ.ع) في فهرس المجلة ، وهو وصف لا يمنحه الزيات الا لكبير حقا ! لا كما تبعثر الاوصاف اليوم بعثرة تدعو الى الاشفاق ، والايام قد صرن كلها عجائب ! ففيم العجب من فضفضة الالقاب والاوصاف ، ولنترك الاستاذ العوامري الى الاستاذ النشاشيبي ، فأذكر عن نفسي اني كنت طالبا بالقسم الثانوي من معهد الزقازيق الديني حين كان المحقق الملثم يوالي بحوثه الرائعة في نقد العقد الفريد على صفحات الرسالة فكنت على حداثة السن وغرارة الصبا شديد الاعجاب والعجب بما اقرأ .

اما الاعجاب فلما المس من دقة التحري ، وبعد الغوص وشمول النظرة ، وعمق الاستقصاء ، واما العجب فلاختفاء التوقيع ، وغموض الرمز ، وقد حرصت حينئذ على ان اكتشف النقاب عن وجه البحاثة الكبير ، فرأيت ان ما ينشر في الرسالة تحت عنوان (نقل الاديب) مشفوعا باسم النشاشيبي الصريح ، قريب الشبه كل القرابة في حواشيه وهوامشه بما ينشر دون توقيع ، ثم ان التوقيع (ازهري بالمنصورة) ان اضل الباحث بعض الضلال ، فان التوقيع بحرف (نون) يوحي بالحرف الاول من النشاشيبي واخذت اجمع اعداد الرسالة الخاصة ببحوث الاستاذ المقنعة لأوازنها ببحوثه المهورة باسمه الصريح حتى ظننت ظنا يقارب اليقين ان النشاشيبي المعروف في (نقل الاديب) هو النشاشيبي المجهول في بحوثه النقدية الخالية من التوقيع الصريح ، ثم تأكد لي ذلك بأدلة لا اتذكرها الآن ، فتملكني شعور جارف بتقدير النشاشيبي واجلاله وكنت فتى ناشئا ينظم الشعر ويباهي بقرضه على غرور يعهد فيمن يخطو خطواته الاولى ، فنظمت قصيدة كاشفة لنقاب النشاشيبي ، وقد جاء فيها :

دع اللثام فقد واليت تعذيبي	**يا طالما ضل في واديك تنقيبي**
حجبت نفسك في سماء شاهقة	**لكن سيبك عنا غير محجوب**
فكنت مثل النسيم الطلق ينعشنا	**ولا نراه بتحديق وتقليب**
فيم استتارك ؟ والاشواق جامحة	**والعين ما بين تشريق وتغريب**
ونحن في زمن كل يتيه بما	**يزجيه للناس من فحش الاكاذيب**
هو التواضع في اسمى مظاهره	**لقد قبضت عليه بالتلابيب**
فهات بحثك انا معشر كلف	**بما تدبج من شرح وتعقيب**
فكم مقال رصين الفكر مؤتلق	**منمق الصوغ مختار التراكيب**

لولا ضميري

قاتـــل الله زمانـــا زجنـــي … حمـــلا مستضعفا بـــين ذئاب

كلمـــا استغفلت نابـــا ضاريا … اوقعتني غفلـــة البال بنـــاب

لم اكن — لولا ضميري — لقمة … لقـــوي ، ومتاعـــا لمـــراب

جف — قبل الحين — زيتي ، ليتني … ذقت شيئا من لذاذات الشباب

ان يـــك العمر كتابـــا فانـــا … لـــم اسطر غير عنوان الكتاب

بوانس ايرس — الارجنتين

زكي قنصل

دنيـــا بمختلف الآداب حافلـــة … يريـــك منظرها شتى الاعاجيب

فمن بيان الى نحو الى لغة … من كل مؤتنف في الفكر مرغوب

مباحث زادها في النفس منزلة … ان اسمك الفذ فيها غير مكتوب

اسلوبك المشتهى نلقاه منفردا … بطابع واضح بـــين الاساليب

ما ان اراه على القرطاس مرتسما … حتى اسوق اليه كـــل ترحيب

كأنـــه اذ يوافينـــي بطلعتـــه … (قميص يوسف في اجفان يعقوب)

اخال احرفه السوداء قد كتبت … بالمسك يعبق منه عاطر الطيب

استاذي الفذ قل لي غير منتظر … من انت؟ واكشف قناع الشك والريب

قلبي يحدثني في كـــل آونـــة … ان اسمك الحق اسعاف النشاشيبي

ثم بعثت بالقصيدة الى مجلة الرسالة راجيا نشرها في البريد الادبي فقط ، فليس لمثلي حينئذ ان يطمع في غير نطاق البريد ، ولكن الايام مضت دون ان تنشر الرسالة قصيدتي ، فعلمت انها دون مستوى البريد ايضا ، وقـــد رفضها الزيات .

مرت خمسة اعوام تركت بعدها معهد الزقازيق والتحقت بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، وبعثت بمقالاتي وقصائدي الى مجلة الرسالة فحازت قبول صاحبها الكبير ، وسعيت الى مجلسه ، فعرفت افذاذا من زائريه ، وفي ليلة من ليالي الشتاء ، فتح باب المكتب ، فهرع الاستاذ الزيات سريعـــا لاستقبال الزائر الكبـــير الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي ، واخذ يقدم له الحاضرين ، وحين نطق استاذنا الزيات باسمي وجدت العلامة النشاشيبي يفتح ذراعيه ويحتضنني وهو ينشد باسما :

قلبي يحدثني في كـــل آونـــة … ان اسمك الحق اسعاف النشاشيبي

فدهشت دهشة كبيرة ، لانـــي كنت اعتقد ان القصيدة المسكينة قد غرقت في سلة المهملات حيث لا يصاح بغريق ! وها هوذا الاستاذ النشاشيبي يعرفها ، ولحظ الاستاذ دهشتي فقال : لقد ارسل لي الزيات قصيدتك من اعوام فاحتفظت بها في اوراقي ، ولم اشأ ان اجيب رغبة الاستاذ الزيات في نشرها كيلا تفضح اسمي بين القراء وقد آثرت الاختفاء ! ثم جلس الى جواري ملاطفا ، ودعاني الى مجلسه (بالكونتننتال) ظهر الغد لأتناول معه طعام الغذاء ، وفي مجلسه المشهود سألته عن سر تحجبه ، فقال في لهجة تنم عن التواضع الصادق ، انا والله يا بني لا اعتقد ان شيئا مما اكتبه يستحق الذيوع ، وقد آثرت ان احتجب ليرحم الناقدون اسمي حين يعثرون على اخطائي ! قلت ولكن اساتذة الجيل يرونك امام العربية ووارث لغة ابي عبيدة وعلم المبرد ، ورواية الاصمعي وبلاغة عبد القاهر ! فقال في تبسم : هم مثلك يشجعون فيبالغون .

اين انت يا اسعاف لترى مـــن يتسولون المدائح والتقاريظ ! فـــاذا ووجهوا بالنقد الحق اطالوا الصراخ واكثروا الضجيج ! ويحسبون انهم على شيء .

القاهرة

محمد رجب البيومي



ايليا حليم حنا

كلمات للحياة

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

حياتنـــا :

شيئان يجب ان نعتز بهمـا ، ولا نفرط فيهما : خبراتنا والوقت . فالخبرة نضج وحكمة . والوقت نسيج الحياة ورصيدها . وامتزاج هذين العنصرين يعطينا حياة موفورة .

لأي هدف خلقنا ؟

للشاعرة الانجليزية (اللا هويلر ولكوكس) رؤية واضحة للحياة عبرت عنها ببساطة في قصيدتها التي تقول فيها :

انا لا ادري متى اتيت ولا اعرف متى اذهب
ولكنني اعرف جليا انني اعيش
في هذه الدنيا ، دنيا السرور والغناء
انني اتبين خلال الضباب والظلام حقيقة اخرى واضحة
انه في استطاعتي كل يوم وكل ساعة
ان اضيف الى مسراتها وآلامها .
اعرف ان الارض موجودة
ولكن لا يعنيني (لم وجدت ؟)
لانه ليس في امكاني ان احيط بكل هذا السر
ولكني اضيع وقتي عندما احاول هذا
فان حياتي قصيرة ، قصيرة جدا
وبقائي هنا لفترة وجيزة جدا
انني افضل اثناء اقامتي هنا
ان اسدي خيرا واضفي نورا على هذا المكان .
انني اظن ان ما يتعبنا جميعا
هوما ينقصنا من وعي وادراك
لو فكر كل انسان انه جاء الى هذه البقعة من الوجود
ليضفي عليها شيئا ولو يسيرا من الجمال .
لحصل العالم بسرعة على مسرته وصحح بيسر كل اخطائه
لو ان كل واحد لم يتنصل واخذ بيد اخيه !!
قف لا تسأل (لم اتيت ؟)
كف عن تعقب الاخطاء والعيوب
انهض اليوم بكل فخر قل :
انني نفحة قدسية من الكائن الاعظم
انه مهما ازدحم العالم فان هناك مكانا لرجل مخلص .
ان العالم في حاجة الي والا فانني لم اكن لأخلق
انني قد خلقت لأسهم بقوة لجعل هذا الوجود جميلا .

لهذا خلقنا

الحياة جميلة وارضنا مكان طيب ، خلق لنستمتع به ، ولكن نحن الذين افسدناه ، جئنا الى هذا العالم ومعنا عدد من الغرائز لنحافظ بها على بقائنا وحياتنا . فالطفل جاء ومعه بعض الغرائز يحافظ بها على بقائه بمجرد ان يولد ، ولكنه عندما يكبر يستخدم غرائزه فيما لم توجد من اجله ونحن قدوته في هذا ، يستخدمها في اطماعه ويقاتل بها غيره ، ونحن مسؤولون عن هذا لانه منا تعلم ان يفسد هذا الكوكب الجميل بما غذيناه به . لغير هذا خلقنا .

لو فكر كل انسان انه جاء الى هذه البقعة مـــن الوجود ليضفي عليها شيئا ولو يسيرا من الجمال ... لو فكر في ان يستمتع بجمال الحياة مدة اقامته القصيرة على ظهر هذا الكوكب ... لـــو فكر في هذا ونسي اطماعه لأصبحت ارضنا مكانا جميلا حقا ، كما اريد لها ان تكون .

عندما خلق الخالق هذا الكوكب وخلق الانسان لم يقصد ان يكون المكان رديئا كما نرى ولا ان يكون الانسان شريرا كما نعرف ، وارسل له الرسل والانبياء والمفكرين الانسانيين ليقولوا له : لغير هذا خلق كوكبنا ، وخلقنا .

فكر قليلا وتأمل في سر وجودك وانهض اليوم وقل ان العالم في حاجة الي لأضفي بهجة ونورا على هذا المكان والا فانني لم اكن لأخلق .. انني هنا لأسهم في جعل هذا الوجود جميلا بالحب والتعاون .

الحشرة والانسان

النحل يتعاون ويعيش في خليته وحدة متماسكة متكاملة ، والنمل يعيش متعاونا متفاهما دون قتال او حقد !!

والحشرات تتعاون وتعمـــل متكاملة متفاهمة دون رقابة او متابعة .. لا اهمال ولا سلبية . كل حشرة تؤدي واجبها دون توان وعلى احسن حال .

عجبا ..!! هل نحن الآدميين اقل من الحشرات وعيا وادراكا واخلاقا ؟! هل نحن اقل من الحشرات تعاونا

وتفانيا ونشاطا ؟ يا لضيعة الانسان لو انه ارتضى لنفسه ان تكون الحشرة افضل واكمل منه !!

ما دورك في الحياة ؟

كتب الاديب الامريكي (وليم دين هاولز) في خطاب الى الشاعر الامريكي (ستيوارت مولر) يقول : (ارجو ان اقنعك بأن المرء منا لا يولد بدون غرض) .

ترى هل يفكر كل واحد منا في الغرض الذي جاء الى دنيانا من اجله ؟ اذا كان قد جاء ليزيد الناس واحدا على هذه الارض لا دور له يؤديه فاننا نقول له : (ما قيمتك في هذه الحياة ؟) انه يدب على كرتنا الخضراء ويعيش كما تعيش الدابة . وفي هذا قال (طاغور) : الرجل اقل درجة من الحيوان عندما يكون حيوانا .

لقد جاء كل واحد منا الى هذه الدنيا كما لم يجيء الحيوان ، جاء ليضيف شيئا جديدا الى التراث الانساني الحضاري ، ليعلي البناء وينقي المفاهيم الانسانية الزائفة من شوائبها البدائية ، ويترك اثره ، والا فانه كان من الخير له ولدنياه الا يولد .. ولقد اعجبني في هذا قول قاسم امين : (اللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذهب ، ولا شرف النسب ، ولا شيئا من الاشياء التي يجري وراءها الناس عادة . وانما هي ان يكون الانسان قوة عاملة ذات اثر خالد في العالم) .

ولقد كان لقاسم امين اثره الخالد في حياتنا ، كان له دوره العظيم في تغيير مفاهيمنا للمرأة .

الملاك الوحيد

كل منا يشكو من شر الآخرين .. وكأنه هو الانسان الطيب الوحيد في عالم كل من فيه اشرار ، فهو ملاك بين شياطين !

ليت كل واحد منا يراجع نفسه ليراها في المواقف التي يرى فيها الآخرين ولا يرضى عنهم ، وليته عندما يراجع نفسه يعمل على ان يكون افضل بحق والا يسلك كما يسلك هؤلاء الذين يشكو منهم ويرى انهم يشقونه وينغصون عليه حياته !

لم يبدو الجميل قبيحا ؟!

(اهم حكمة يمكن ان نتعلمها هي ان ننظر الى الجانب الجميل من الاشياء) .

(جونسون)

ولكن كيف يمكن ان نرى هذا الجانب الجميل والناس يلفونه بظلام نفوسهم وقلوبهم وعقولهم وانانيتهم واحقادهم ؟!

اغسل نفسك

ماذا يحدث لو انك لم تستحم منذ ولادتك حتى تفارق هذا العالم ؟! ماذا تحس وماذا يصيبك ؟ وماذا تكون الرائحة التي تنبعث من جسمك وتجعلك شيئا لا يطاق الاقتراب منه ؟! سؤال عجيب ! اليس كذلك ؟

لا تعجب . فاننا نهمل غسل ما هو اهم من اجسادنا ... اننا نهمل غسل انفسنا . كم مرة في حياتك حاولت ان تنظف قلبك واحساساتك وتفكيرك ؟

كم مرة تستحم في الاسبوع ؟ وماذا تشعر بعد ان تخرج من حمامك وقد نظفت جسدك وارتديت ملابس نظيفة ؟! .. ألست تشعر بالانتعاش ؟ كم مرة حاولت ان تنظف نفسك من حقدها وحسدها وانانيتها وطغيانها ؟ قد لا تكون قد حاولت هذا مطلقا . والآن تخيل اية رائحة كريهة تنبعث منك ؟ انها رائحة ليست من النوع الذي نشمه بانوفنا ولكننا نلمسه بقلوبنا وعقولنا عندما تنبعث هذه الرائحة الكريهة في اعمالك واقوالك وتصرفاتك . انك لا تؤذي الناس وحدهم بهذه الرائحة النفسية الكريهة .. انك تضر نفسك ايضا . انك تقتلها ببطء ، انك تسمم حياتك .. انك تدمر جسدك .. حقدك بما يولده من شحنات انفعالية ، ونزعاتك العدوانية ، تمرض جسدك وقد تؤدي الى هلاكك .. سل الاطباء عن هذا يسمعوك الكثير .. هذه القاذورات النفسية تحجب عنك كل جمال حولك فلا ترى الا قبحا وظلاما ..!

اغسل نفسك تسعد .. اجلس الى نفسك كل ليلة ... حاسبها ... اجمع قاذوراتها وتخلص منها ... اغسل قلبك وعقلك ... اغسل نفسك من كراهيتها ، من حقدها ، من قسوتها .. اغسلها من افكارها الرديئة وكن نظيفا تر الوجود نظيفا ... لن تسعد الا اذا امسكت بمعولك وهدمت كل الخرائب التي بنفسك .. والسعادة ليست هبة تمنح ولكنها ثمرة مجهود يبذل . خلص نفسك من كل ما يحول دون اسعادها . عش واجعل غيرك يعيش ... عش حياتك كما يعيش الفنان فنه ... يسعده الجهد الذي يبذله ليصل الى الكمال ..

جميل ان تنسى

(ان الحياة اقصر من ان يعنى فيها المرء بالتوافه) كلمة قالها (دزرائيلي) السياسي الداهية الذي كان في وقته اقوى رجل في انجلترة ... قال الرجل كلمته نتيجة خبرة ، وعلق عليها الكاتب الفرنسي العظيم (اندريه موروا) قال : (ان عبارة دزرائيلي اعانتني على ان اجتاز ظروفا كثيرة مؤلمة ، فنحن غالبا ما نسمح لأنفسنا بأن نتضايق ونثور لأسباب تافهة كان ينبغي ان ننساها ولا نعلق عليها اهمية . ان العمر – مهما طال – قصير ومع ذلك فاننا نقضي ساعات لا تعوض في التفكير والاسى والاسف على اشياء تافهة ، لا شك في اننا وغيرنا من الناس سننساها على مر الوقت . اليس من الخير ان نكرس اوقاتنا القصيرة لأداء اعمال جليلة او انتاج آثار خالدة او في افكار مفيدة مسلية وخدمات لغيرنا ؟)

جميل ان تعفو والاجمل من هذا ان تنسى . حقا ان الذاكرة التي تعي هي ذاكرة قوية ولكن المقدرة على النسيان علامة صادقة على العظمة وسمو النفس والاحساس بنقائص الانسان وانه لا احد معصوم من الخطأ .

لا تسقم نفسك بالاحتفاظ بسوءات الآخرين ومداومة التفكير فيها واجترارها . انك تتلف اعصابك وتهدم سعادتك وتسلب نفسك راحتها وتفرغها للانتاج ... لا يمكنك ان تنتج وانت تحقد وتدبر امر الانتقام .. انك تضني نفسك وتحطم قواك .

انس . ولا تسيء استعمال ذاكرتك ... حاول ان تجعلها تحتفظ بما يبني لك شخصية صافية مشرقة ، وبما يدخل الراحة على قلبك وينمي عقلك ، ويدفعك الى البناء والابتكار .

مرن ذاكرتك على ان تطرد التوافه والاحقاد والاخطاء والنقمة والمرارة . لا تجعل منها خرائب ينعق فيها البوم . اجعلها روضة تحوي شتى الازاهير ذات الاريج الطيب والشكل البديع لتنعم انت وتسعد ثم يسعد من حولك .

الرجل الانسان

قال (امرسون) : (الرجل الانسان هو الدولة ، انه ليس بحاجة الى جيش او حصن او اسطول . انه شديد الحب للناس .. علاقته بهم ملائكية ، وذكراه دواء لهم ، ووجوده عطر وزهر ..)

وقال شاعر (لا اذكر اسمه) :

وطني الدنيا وديني خالقي — واخي كل شقي في البشر

وقال سقراط (٤٧٠ قبل الميلاد) :

(لست أثينيا ولا يونانيا ولكن وطني هو العالم) .

هــذه صيحات انسانية رائعة نادى بهـا فلاسفة وشعراء وادباء على مر العصور .. عالمنا في حاجة كبيرة الى الاستجابة لها ... ان مصير احفادنا وعيشهم في عالم اجمل وافضل منـوط بتحقيق هـذا المستوى الانساني السامي .. وهذا الفكر الذي يمثل عملا حضاريا هـو الطريق الى عالم يبنيه الاحفاد في دنيا يسودها روح الوئام والمحبة والتعاون .

اننا في هذا العصر الذي اتسعت فيه رقعة الوطن الانساني .. وافاد كل انسان في اي مكان من معطيات العصر العديدة دون تمييز او تحيز للون او جنس او دين في هذا العصر ما زال الناس في الاماكن التي اتسم ناسها بالجمود وبازدواج التفكـير يحاربون بعضهـم البعض ويتقاتلون ويتناحرون ويتعصبون ... يعيشون بعقولهم وقلوبهم في البدائية الاولى ووحشيتها ويعيشون بأجسامهم فقط في عصر النور .. انهم يطمسون هذه الحضارة الباهرة بما في نفوسهم من وحشية مستترة وراء القيم الزائفة ، قيم الكهوف والظلام .. مـا زالت هـذه القيم البدائية الغاشمة توجههـم الـى الارهاب والخطـف والتعذيب والقتل ..

انه عار على انسانيتنا الحديثة ان تتشبث بانسان الكهف وتسيرها همجيته ووحشيته ضاربة عرض الحائط بكل القيم السماوية والحضارية ... اننا لا نعيش عصرنا الا بأجسادنا اما قلوبنا وعقولنا فما زالت تعيش في الكهوف المظلمة ولا سبيل الـى خلاص العالم الا بثورة روحية شاملـة .

يقول (ارنولد توينبي) : (لا يمكن ان تصل الى سلام حقيقي دون ثورة روحية شاملة) .

اننا نغالط ونرفع شعارات الفضيلة والكمال والخلود وفي اعماقنا ننحت الاصنام ونعبدها .. نعبدها بقوة ولا نرى الها غيرها ، ولكن بشفتينا فقط نعبد الاله الواحد خالق الكل ، الذي خلقنا جميعا من نفس واحدة ، نعبده وفي نفوسنا اصنام عديدة عزيزة علينا : الانانية ، الحقد ، التناحر ، الكراهية ، التفرقة بجميع انواعها ... وموكب الاصنام يتدفق من اول الطريق الى حيث لا نهاية !

هل انت مؤمن حقا ؟

اسمعك تقول : او في هذا شك ؟! هل تؤمن بالخلود في عالم آخر بعد الموت ؟ انك تجيب على الفور : طبعا ، فكيف اكون مؤمنا ان لم اكن اعتقد في حياة اخرى لا تعرف المـوت ؟!

هل تعمل حقا من اجل هذا الخلود ؟ ماذا تفعل لو تعارضت فائدتك الدنيوية مـع تعاليم السماء ؟ اجـب بصراحة .

ما صلتك بأخيك الانسان ؟ هل صالحه مقدم على صالحك ؟ هـل تعدل ان كان العدل لا يخدم مصالحك واغراضك وميولك ؟ هل تحب الناس جميعا دون ادنى اعتبار ؟ هل تحس ان الدنيا مكان جميل يجب ان تحافظ على جماله بالعطف والرقة والمحبة والبعد عن القسوة والعنف والتعصب ، وكل شر ؟ اجب ولا تغالط .

الثورة الروحية الشاملة التي يراها (توينبي) لسلام العالم هي الايمان الصحيح العميق الذي هو محبة عميقة للانسان وللخير والجمال . والمحبة العميقة تخلصنا من ادراننا ، وضيق عقولنا وجمودنا ، وتحول اي مجتمع الى جنة حيث التآخي والتآزر ، ونكران الذات .. الايمان رباط قوي يربطنا بكل ما هو انساني ويسمو بنا الى ما فوق اجسادنا وشهواتنا ، يخلصنا من حيوانيتنا وانانيتنا وقسوتنا . بغير هذا الايمان الصحيح لا يمكن ان نصل الى سلام حقيقي . ونبقى في الكهوف البدائية المظلمة بقلوبنا وعقولنا ، بالرغم من كل المظاهر المذهلة لحضارتنا .

ولا اجد ما اختم به حديثي هذا افضل مـن كلمة (جون جالزورثي) التي جعلها شعاره في حياته ووضعها على مكتبه لكي تنبهه اذا ما دعا داع الى ان يتناساها ، او يحجم عن تصريف اموره بمقتضاها .. وضعها على مكتبه وجعل منها ميثاقا مكتوبا لا يتحلل منه .

قال الرجل :

(لن انتظر ان امر في هذه الدنيا اكثر من هذه المرة ، فكل خير استطيع ان اصنعه وكل يد استطيع ان اسديها لانسان او حيوان ابكم فلأصنعه الآن ، ولن ارجىء ولن اهمل لأن الفرصة قد لا تسنح مرة اخرى) .

القاهرة — **ايليا حليم حنا**

المتنبي

بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته

الياس قنصل

*

بيانك في سفر العروبة عنوان ... ودهرك من سامي خلودك غيران
تجاوزت ألفا من سنيه ولم تزل ... كما كنت في الدنيا وعمرك ريان
وتختلف الاذواق شرقا ومغربا ... وقولك في الحالين حكم وسلطان
اذا رجحت بالشاعر الفحل كفة ... وجلت معانيه فشعرك ميزان
وما المجد ان يخشى لقاءك جحفل ... وتعنو لما يمليه سيفك تيجان
ولكنه مما نظمت اشارة ... الى مظهر فيه عن الفضل تبيان
وما العز ان تجري هباتك جدولا ... ويسعد مما في عطاياك ضيفان
ولكنه الاسم الذي انت واصف ... مواقف منه بالمآثر تزدان
اذا طلبوا عنه بيانا وحجة ... فذكرك اياه دليل وبرهان
نثرت على اللفظ الذي كان ذابلا ... نداك ، فأحياه جمال وريعان
ففي كل معنى من معانيك جنة ... تزود مغانيها قلوب واذهان
تمر الليالي بالخطوب وبالصفا ... ونبعك سلسال وحاسيه ظمآن
تغوص الى سر النفوس فتجتلي ... عواطف يخفيها عن العين كتمان
وتسكب منها في قوافيك حكمة ... يفيق لها غاف ويرشد سهوان
فكيف يجاريك الخصوم وشعرهم ... قواف خلت منها الحياة وأوزان
ولا عجب ان ترتفع عن حضيضهم ... فلا يستوى في الجو نسر وديدان
تخلد من تهوى كأن يد القضا ... يطيب لها ما رحت تأمر اذعان
اذا رمت فالحكام حزم ونخوة ... وان رمت فالقواد سخف وخذلان
خلعت على كافور غيظك ناقدا ... فاذ هو الا من هجائك عريان
وادخلته التاريخ رغم ذكائه ... لتضحك اجيال وتسخر ازمان
وقلدت سيف الدولة المدح صادقا ... وفيك بما فيه من الصدق ايمان
فاصبح رمزا للبسالة يقتدي ... بغيرته في السلم والحرب اقران

نعيت على ابناء يعرب ضعفهم ... وفي ضعفهم نكس وذل وخسران
وحذرتهم من ان يكون بناتهم ... اعاجم هانت ارضهم بعد ان هانوا
وطالبتهم بالصد عن كل دعوة ... يسر لها فدم وساه وكسلان
وها نحن في وضع وصفت مآله ... نقاسي خفايا شره وهي ألوان
تضاءل عد السائرين بهمة ... يسدد مرماها ضمير ووجدان

فشردنا التضليل عن كل موكب ... يسيره جد وعزم وعمران
واني نفيد الخير من كف مارق ... يدربه في منهج الختل امعان
يخاطبنا بالضاد اما فواده ... ففيه من الافرنج عرش وايوان
ويقسم بالله العظيم ونفسه ... تسيطر اصنام عليها واوثان
تقابل اهوال الخمول رحابه ... ويغمرها بالبؤس جهل وطغيان
ويهمي عليه الغيث تبرا وفضة ... وتجري حواليه من المال غدران
ولو شاء اغنى اهله بنواله ... فلم يبق بين الاهل صاد وجوعان
ولو شاء ضاق الجو عن طائراته ... وآجره في وقعة الثار اخوان
ولو شاء ارسى في المحيط سلاحه ... فعزت به في عالم العرب شطآن
ولو شاء مادت بالجديد دياره ... وملء حناياه رصاص ونيران
فواحسرة الاخلاق كيف تدهورت ... وكيف عدا منا على الحق بطلان
وكنا قديما سادة رغم فقرنا ... ونحن على رغم الغنى اليوم عبدان

وعابوا عليك الحرص ريا لفلهم ... وما عابه الا حسود وشنآن
سعيت الى الاثراء غير مخادع ... وغيرك يخفي سعيه وهو حسران
وما كنت تبغيه لتخزن رفده ... وعينك ترعاه وبالك سهران
اردت به امرا الى نفع امة ... اصاب معاليها من الروع حدثان
وما دام كسب المال سلم خامل ... الى مركز يسمو لنائله شان
فلا تعدل الآداب تتبع نهجه ... اذا باء بالخذلان فن وعرفان
طلبت الغنى والعز دربك نحوه ... واغلب ما في المال رق وايهان
ولو شئت ان يأتيك في اي حالة ... لسرت وفي نعليك در ومرجان

يطالبنا بالفقر قوم كفوفهم ... من البخل والتقتير قفل وصوان
يريدون منا ان نعيش على طوى ... لترفعنا في ساحة الموت صلبان
كأن نعيم الارض ملك يمينهم ... وحصتنا منها شقاء واحزان
فلا هم يضني بالعناء نفوسهم ... ولا نجدة ترجى اذا صاح لهفان
ويخشون – مهما يستعدوا – سباقنا ... متى ضمنا في دورة الكد ميدان
تسامت عن المرمى السخيف خلالنا ... وأبعدنا عن دولة الفلس عصيان
ولسنا نبالي ان يطول خريفنا ... اذا هل منه بعد ذلك نيسان
وما ضرنا في نصرة العدل اننا ... على مذبح الاخلاص للعدل قربان
ولم نرض عن عجز ولا عن بلادة ... كما خال نمام وخمن ظنان
حملنا هموم الناس قبل همومنا ... واحرجنا بالغم والكرب ما عانوا
نحس بناب الظلم ان ثار مرهق ... ونشعر بالآلام ان ناح ثكلان
ونحيا وفي اكبادنا كل حسرة ... تجرعها في فسحة الارض انسان
وقد يذهل المحزون عن نكباته ... وليس لنا عما يكابد سلوان

عرفت من الحساد كل وشاية ... ينوء بما فيها من السوء ثهلان
وغالبتهم حتى اضاعوا صوابهم ... وباتوا وهم بالغيظ صم وعميان

وما كان عمدا ما فعلت وانما ... نبوغك في وجه المكابر بركان
وكيف يرد البحر ان ثار موجه ... ويخمد اعصار ويحجز طوفان
وكيف يكم الصمت ثورة شاعر ... تضيق وتعيا عن امانيه اكوان
واعجزهم ان يلحقوا بك مرة ... وبين قوافيهم عياء ونقصان
فعادوا الى الماضي البعيد تقودهم ... حقود يغذيها الصغار واضغان
وعاثوا فسادا في الطفولة والصبا ... كما عاث بالحملان في القفر ذؤبان
يذيعون ما يمليه همس ريائهم ... ويهدمه صوت من الحق رنان
لفيف من الاقزام ينطح معقلا ... له من صخور الباس اس وجدران
ولم يثبتوا بالغمز الا ضلالهم ... وعادوا يجرون الشنار كما كانوا
واديت عن حق النبوغ ضريبة ... رواسمها جهد وصبر وحرمان

ابا الطيب المغبون في كل دارة ... كلانا لما عانى من الناس حيران
بليت بقوم مثل قومك جلهم ... لئيم يغالي في الضلال وخوان
بنيت لهم بالشعر مجدا محجلا ... فما راقهم شعر ومجد وبنيان
امد لهم كفا تفيض مودة ... وأعرض قلبا فيه عطف وتحنان
فيصدمني ما دبروا من حبائل ... ويؤلمني منهم صدود وهجران
تلاحقني بالوخز منهم شتائم ... ويغمرهم بالمدح مني ريحان
اذا لمحوا فوزي وفوزي يخصهم ... تعقبني منهم جحود ونكران
وان خذلتني الحادثات فنصحهم ... سباب له في النفس جرح واثخان

اذا كنت قد اسديت للخلد والعلى ... طرائف شعر فيه وحي واتقان
فعمرك ما سن الجهاد لاهله ... وما اختار من امثولة النبل فتيان
وموتك اسمى ما نظمت وان يكن ... عدوك صفى ثاره وهو جذلان
خطوت اليه رابط الجاش صامدا ... ومنجله بادي النواجذ غضبان
ونازلته لم تحتفل بمكيدة ... يخاف عواديها كماة وشجعان
وظنوا بأن الموت تلقاه جازعا ... فخيبهم من حد سيفك ايقان
وأثبت يوم الهول انك صادق ... وان الالى عادوك في قولهم مانوا
وعلمت ان يغدو الاباء فريضة ... ونفذتها والحتف ليل وعدوان
وما العمر الا وقفة ترفع الفتى ... والا كفاح منه تفلح اوطان
فاما بقاء ينبت العز خالصا ... وتحمى مجانيه سيوف ومران
واما قضاء ليس للموت صولة ... عليه وان صالت قبور واكفان
واي انتفاع من حياة طويلة ... وفي عرضها حيف وهون وخشيان
وما قيمة الاعوام تمضي رتيبة ... وليس لها في دوحة الذكر اغصان
ورب انتصار كان للذل شارة ... ورب اندحار فيه للفخر ديوان
اذا كان اصلا للثناء مناضل ... يخفف عنه العسر صبر ورضوان
فاجدر بالتقدير من جابه الردى ... وفي وسعه عما يجابه غنيان
ومن لم يكن في ساعة الموت باسلا ... فجرأته في العيش زور وبهتان
لأنت مثال ان تعالت كرامة ... وانت شهيد حين تعظم بلدان

مدحت فتى الفتيان عن كل غارة ... توطد فيها للسيادة اركان
فرددت الانحاء شعرا مخلدا ... وباهت بلاد العرب في العز حمدان
وما كنت تثني للنضار وانما ... لأنك بالنصر الذي نال نشوان
ينام ولاة الامر عن اي غزوة ... تساق على ارجائهم وهو سهران
مدحت به الفوز الذي انت ناظر ... وقد عاد بالاخفاق عجم وروما
يخاف العدا المجرمون حسامه ... وينتابهم منه رجيف وبحران
فلم يتخذ مما تحملت عبرة ... ولا راعه ان يحقر الليث سرحان
ايخذل من دان القريض لفكره ... ويطربه في معرض الشدو غلمان
ايعرض عمن اسهر الناس شعره ... وجابت به اقصى البسيطة ركبان
ويحضن من لا يبتغي غير ماله ... وتنفر منه حين ينسب قحطان
وضاقت بك الدنيا ومن خاب ظنه ... بصاحبه عانى الاسى وهو حسران
لقد كان صعبا ان تفارق ارضه ... ومجلسه للعبقرية ديوان
واصعب منه ان تنام على رضى ... اذا شك في تقدير ودك خلان
فودعت عهدا بالسعايات حافلا ... وغادرت قصرا فيه بوم وغربان
ونال العدى ما املوه ولم يعد ... متى تذكر الشهباء للشعر ربان
وضاعت على من ضايق الروم فرصة ... تاهبها بالعجب والزهو جيران

اطل علينا من خلودك واجما ... فما زال فينا للتنافر اعوان
وها نحن بعد الالف شعب ممزق ... وساستنا في حلبة الحكم صبيان
نخاف وحوش الغاب وهي بعيدة ... وفي دارنا صل وذئب وثعبان
ويسبقنا من كان في الدرب بعدنا ... ويربحنا في آخر الشوط عيان
وما عاد يخشى الحرب منا عدونا ... ونحن بما فينا من الطيش قطعان
نحيل على الاقدار ذنب ونائنا ... ويحجب عنا ما اقترفناه نسيان
تخذنا من الاديان للشر مسلكا ... وتبرأ ممن يضمر الشر اديان
نصلي وفينا للخصومات رغبة ... وكل صلاة في الخصومات كفران
وتغتفر الزلات بعد ندامة ... وليس لمن يجني الخيانة غفران
قسونا ولم نسرف وغالوا بلومنا ... وفي الوطن المحبوب تمرح غيلان
وهلا نطيق الصمت والدم نازف ... ومدمعه مما تحمل هتان
السنا نشيد المجد يوم حبوره ... وسلواه عن حكم ... وهو اسيان
على يدنا تمت مطالب اهله ... وغادره عاد وطاغ وقرصان

ارى الافق في دنيا العروبة اسحما ... وفيه ظلال كالحات وادجان
ولن تنقضي الا سنون قليلة ... ويدفق بالنار الخبيئة يأسان
فتحرق من حابوا العتو تزلفا ... وتحرق من ذلوا وتحرق من خانوا
وتصفو بلاد العرب من كل مائن ... له في وزارات الاعاجم اثمان
وما هي احلام تراود شاعرا ... تعالت له في غربة الروح الحان
ولكنه التاريخ يلقي دروسه ... ليسمع منها صرخة الحق غفلان

بوانس ايرس — الارجنتين

الياس قنصل

وقفة جديدة مع الدكتور انس داود في :

الرؤية الداخلية للنص الشعري

بقلم الدكتور محمد سعد حسن

مدرس الادب والنقد بجامعة الازهر

* * *

ونعود الى كتاب « الرؤية الداخلية للنص الشعري » مرة اخرى ، لنتبين تلك الرؤية الفنية في باقي القصائد والاشعار التي عرض لها المؤلف في ثنايا هذا الكتاب .

ففـي قصيدة « البلبل الساكت » للشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) يؤكد المؤلف ان الشعر الرفيع انما هو وليد مشترك بـين الوعي واللاوعي ، ترفده اسرار النفس ودفين مشاعرها ، كما ينظمه الفكر ويجلوه الخيال .

والشاعر القروي في تلك القصيدة يصف شيئا وهو يريد شيئا آخر ، وذلك في نظر المؤلف احدى سمات الشعر الرفيع ايضا ، بمعنى ان يكون للشعر مستوى من المعنى الظاهر ، ومستوى آخر تشف عنه العبارات ، وتومىء له الصور .

والقصيدة من الشعر الرمزي ، الذي يتعلق برمزية الموضوع ، فحديثه عن البلبل ليس في الحقيقة سوى حديثه عن نفسه ، وقد كشف تاريخ انشاء القصيدة عما تحتها من رموز ، فقد كتب الشاعر هذه القصيدة قبل ان يهاجر ، حين كان يعاني عذاب القيود ، التي فرضها الحكم التركي علـى المواطنين مـن ابناء العروبة في سورية ولبنان وفلسطين .

والقصيدة قصة ليلة مطيرة ، وبلبل حائـر يطلب مأوى ، وفي كل لمحة نجد عذاب الشاعر النفسي ، ونجد غوائل المستعمرين ، وعواصف الحكم التركي الغاشم ، تطارد اصحاب الكلمة ، وتكمم افواه الاحرار .

ولم يفت المؤلف ان ينبه على احد عيوب تلـك القصيدة ، ذلك ان ثمة تعابير لم يجتهد الشاعر في صياغتها تحمل طابع النثر ، وطابع التقرير ، وتبعد بعض الشيء عن التصوير الفني الموحي المؤثر .. مما اوهى التواصل في بعض الابيات بين نفسية الشاعر ورمزه الفني ، ولم يجعل من الرمز نقابا شفافا على نحو قدير وجدير ، واستدل على ذلك ببعض تلك التعابير من امثال : « والله ادرى » و « عسكر الغيم » و « هدأ الطبع » و « مـن عهود الرشيد » وغير ذلك من امثال تلك التعابير النثرية التي تشير — في راي المؤلف طبعا — الى ان الشاعر القروي لم يكن قد بلغ آنئذ درجة النضج الفني .

وقد كان بودنا ان يحول المؤلف — وهو شاعر يدرك بحسه الشعري وبرؤاه الشعرية ما لا يدركه غيره من غير الشعراء ، مسار تلك التعابير من النثرية الى تلك اللغة الشعرية ، التي حدثنا عنها حديثا طويلا ومتواصلا على صفحات هذا الكتاب .

وفي ظني ان جملة « والله ادرى » التي اعترض عليها المؤلف قد فجرت في نفسي كثيرا مـن الطاقات النفسية والفكرية ، التي جعلتني اتعاطف مع الشاعر ، بل واعيش معه جزءا من تلك التجربة ، التي فجرها في تلك القصيدة .. ولقد جهدت كثيرا في العثور على جملة اخرى تفي بمتطلبات الفكر والوجدان من تلك الجملة ، فلم اوفق في العثور عليها ، بيد اننا لا نختلف مع المؤلف في ان تلك القصيدة انما تمثل مرحلة من المراحل المتقدمة للشاعر ، وهي مرحلة لم يبلغ الشاعر فيها من النضج الفني الى الدرجة التي بلغها بعد الهجرة ، لانه كان آنئذ في مطلع الشباب .

واما قصيدة العقاد « ترجمة شيطان » فيثير بها المؤلف حديثا قد يمتد الى عدة اجيال حول شاعرية العقاد ، ومدى هذه الشاعرية ، وخصائصها ، واصالة المجالات التي عبرت فيها عن نفسها ، وقوة الصلات التي بينها وبين الطبيعة والحياة او وهن هذه الصلات .

واذا كانت القاعدة ان الشاعر يبدا مغرقا في النزعة العاطفية ، وينتهي بالتأمل الهادىء الرصين ، الذي تغلب عليه الحكمة ، فان العقاد قد قلب هذه القاعدة ، حيث بدا حكيما متفلسفا ، ثم اخذت عواطفه تشتعل رويدا رويدا حتى استغرقته في ديوان « اعاصير مغرب » وما تلاه .

ثم يذكر المؤلف انه يختلف مع الدكتور عبد الحميد يونس الذي علل لتلك الظاهرة بقوله « والسبب في ذلك واضح ، وهو ان العقاد اراد بحوافز الطموح الهائلة التي فطر عليها ان يبدأ من حيث ينتهي غيره ، وتسلسل دواوينه على مراحل سيرته الشعرية لا يكاد يشذ عن هذا المسار المعكوس ، حيث يرى ان رؤى العقاد الشعرية مع عقله الوافر لم تكن على جانب كبير من الصفاء والشفافية ، ولذلك كان في حاجة الى وقت طويل يتعامل فيه مع الفن الشعري ، ويقترب رويدا رويدا من شاعريته حتى تتكشف لـه في رصد العواطف الساذجة ، والاحلام الطفلية ، والمشاهد الاليفة في الطبيعة والحياة ، وحتى يتكشف له عنصر الدهشة في الاشياء المألوفة ، فيغنى لمشاهد الطبيعة ويخص الكروان بديوان خاص من شعره ، ويبكي ألمـا واحتراقا من اخفاقه في الحب ، ويذوب سذاجة وعفوية مع الحبيبة المواتية ، والطفولة المثرثرة .

واذا كانت قصيدة العقاد « ترجمة شيطان » قد اثارت انتباه الكثيرين ، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ، الذي خص تلك القصيدة بالاشارة ، وهو يمنح لواء الشعر

للعقاد في حفل تكريمه ، عام ١٩٣٥ ، وكذا الشاعر عبد الرحمن صدقي صديق العمر للعقاد ، فان مؤلف الكتاب يعرض في تلك القصيدة رأيا — في ثنايا نظرته التحليلية لها — يقف على النقيض من هذه الآراء .

فالبيانات النثرية الكثيرة التي عمد اليها العقاد في صدر القصيدة ، وفي ثناياها تفسر ان سر الغموض في القصيدة لم يكن مبعثه جلال الفكرة ، او ولوجه في عالم النفس المستترة ، التي يعز الاقتراب منها الا بالتصوير الموحي ، وانما كان مبعثه جهدا في النظم ، وعجزا عن القدرة البيانية الكاملة ، داخل الاطار النظمي للشعر ، وبعدا بينا عما تتطلبه لغة الشعر من تصوير وايحاء ، ومن ثم كانت هذه البيانات النثرية في القصيدة (ص ٧٣) .

ان لغة العقاد في القصيدة غير شعرية ، لان اللغة الشعرية تصور ولا تقرر وتوحي ولا تبين ، ولغة العقاد في القصيدة نثرية ذهنية تسقط على الاشياء لتحددها وتوضحها ، وتهدف الى بيان رأي ، ويحل محلها احيانا شروح العقاد وعكاكيزه التفسيرية .

والذي نود ان نكشف عنه هنا ، هو ان اخضاع الشعر الفلسفي وبعض الشعر الصوفي لهذا المنهج يكشف عن كثير من السوءات الشعرية ، كالتي اشار اليها المؤلف في معرض تحليله لقصيدة العقاد السابقة ، اذ ان العاطفة تأتي من وراء العقل في هذا اللون من الشعر ، فليس لنا ان نؤمل في ان يتخلص الشاعر من خاصة التقرير ومن النثرية والذهنية على المستوى العام للقصيدة ، وان امكن التخلص من تلك الخاصة في بعض المواقف الجانبية ، او اللقطات الفرعية ، وبهذا يصبح هذا الشعر في احيان كثيرة من النثر المنظوم ، لا من الشعر .

وكنا نود ان يتنبه المؤلف الى تلك الملاحظة ، بل والى الحديث عن موسيقية القصيدة ، فقد بناها الشاعر على نظام الرباعيات ، ففي كل بيتين تتفق الشطرتان الاولى والثالثة في قافية ، والثانية والرابعة في قافية اخرى ، لان هذا التنويع من الموسيقى الخارجية للقصيدة هو الذي جعلها تطول حتى تبلغ مائتي بيت ، وحتى يستوفي الشاعر في اثنائها تلك الفكرة الفلسفية الهائلة .

ولعل ما يؤكد هذا القول ان الشاعر حين حكم ذات المنهج في شعر ناجي فانه وجد نفسه — كما يقول — امام نمط من الشعر ذكره بما كان يفعله المتصوفة المسلمون في خلواتهم .

ومعظم التفسيرات التي يراها النقاد في شعر ناجي ، من كونه شعرا يدور حول المراة ، داميا من جراح لقاء لم يتم ، او متلهفا على وعد بلقاء ، انما تنبع من قراءة المستوى الظاهري لشعره ، ولكن الرؤية الداخلية لهذا الشعر لها راي آخر ، وهذه الرؤية لا تسقط على العمل الفني من خلال مسبقات فكرية ولكنها تشغل نفسها بالنص وحده ، وتتبع علاقاته الداخلية ، والنظرة اليه من خلال معجمه وصوره ، وطريقة الشاعر في تشكيله مستضيئة — فحسب — وعلى حذر شديد من كل ما استقته من معلومات تاريخية واجتماعية ، فقد يعبر الشعر عن الوجه المناقض للعلاقة بين الشاعر والاشياء لاشباع حاجة نفسية دفينة ، ومن ثم لا يصلح ان يكون وثيقة حياة ، ولا ان تكون وقائع الحياة مرجعا لرصد ابعاده .

وقد اتخذ المؤلف من قصيدة « زازا » مجالا لهذه الرؤية ، وكان من ألمع ما اشار اليه في معرض تلك الدراسة ما يسميه بعض النقاد « عناقيد الصور » والتي تعني ارتباط مجموعة من الكلمات بألفاظها او معانيها المقاربة ، على نحو يتكرر بصورة لافتة للنظر في شعر الشاعر ، مما يؤكد دلالة معينة ، ويضع ايدينا على البؤرة النفسية لاشعاع تجربته ، او على جرح الشاعر الدفين ، الذي ينزف في كل عمل فني .

وقد اشار المؤلف الى ان شعرا كثيرا عند ناجي يدور حول المراة في مستواه الظاهري ، ويشف عن علاقة معينة بين الثالوث الذي ذكر في مطلع قصيدته « زازا » : الشاعر والغمام والسماء ، او الانسان والامل والمطلق .

وفي راي المؤلف ان ناجي في شعره عن المراة كان يجرد كل محبوبة من صلاتها بالواقع الانساني المحدود ، ثم يصلها بالاشياء المطلقة في الطبيعة ، ثم يتوجه اليها بصلواته ، كما يتوجه النساك الى ربهم في زفراتهم الحارة .

المراة في شعر ناجي كانت انسب « قناع » للتعبير عن حيرته امام المجهول والمطلق ، لان فيها — فيما يرى ناجي — بعض خصائصه ، كسر من الاسرار وجزء من فاعليته في الانسان ، حيث يتكامل بها وجوده ، بل ويزدهر هذا الوجود .

وقد شفع المؤلف دراسته بالكثير من اشعار ناجي ، ولم يفته ان ينبه على بعض العيوب التي وقع فيها الشاعر ، كالتقريرية ، والحشو وغير ذلك ، كل هذا في ضوء رؤيته الفنية ، او رؤيته الداخلية لتلك الاشعار .

ثم تكون نهاية المطاف عند قراءة في معلقة امرىء القيس ، التي رأى ان يضع لها عنوانا ، وان يجعل هذا العنوان « امام اطلال الحبيبة » او « امام اطلالها » ، وقد كان ذلك الصنيع دليلا على ذكاء المؤلف ، اذ رأى في عنونة القصيدة على هذا النحو حلا للكثير من المشكلات النقدية التي ثارت حول تلك القصيدة ، كالوحدة الفنية ، التي جردها منها كثير من النقاد ، وبخاصة الدكتور طه حسين في كتابه الاشهر « في الادب الجاهلي » .

وقد حاول المؤلف ان ينتصف لتلك القصيدة ، بل ولكثير غيرها من الشعر الجاهلي ، الذي حمل عليه الدكتور طه حملة عنيفة ، وجرده من الشعر والشاعرية ، ورأى فيه انه شعر مفكك متكلف منتحل لا يمثل شخصية قائله ، وذلك حين اكد ان الوحدة الفنية امر لا ينفصل عن البواعث الاجتماعية والذاتية للشاعر .

وبعد وقفة فنية نافذة ، وبعد تعامل لبق مع ابيات تلك القصيدة بين اننا اذا نظرنا الى عناصر شعر امرىء القيس ، والى لغته الشعرية ، والصور الاليفة التي يستخدمها،والى الاشياء البسيطة التي يحتفي بها في شعره: بعر الآرام اللحم ، الشحم ، الصحاف ، العبيط المثمل ، الغبيط نجد انه يحل تلك العقدة التي لم نحلها في شعرنا المعاصر « لغة الشعر » ، رفع الازدواجية بين شعرنا وحياتنا ، او حلول الحياة في الشعر على نحو ما تحل حياة امرىء القيس بكافة جوانبها ، وتحل بيئته بأشيائها الجليلة والهينة ، وتحل تجاربه ومشاعره الهينة منها والجليلة ايضا .

واشار الى خاصة « التجسيد » التي نجدها واضحة في شعر امرىء القيس ، وفي اشعار كثير من الجاهليين ، كما يتضح في صورة البعير الجاثم بهيكله على انفاس الشاعر ، وفي صورة تثبيت النجوم وشدها الى جبل « يذبل » بأمراس متينة ، وغير ذلك .

وبعد دراسة واسعة نفذ فيها المؤلف الى الاعماق النفسية والاجتماعية لامرىء القيس ، نستطيع ان نلمح آية وحدة القصيدة الفنية ، وصدورها عن عمق الاحساس بتجربة « الفقد » في حياة هذا الشاعر ، فلئن هدم المطر ما هدم فهو بشير بعودة الحب ، وتجدد ازدهار الحياة ، فهو نهاية وبداية ، والحياة عنده لا تتوقف قط ، تلك صوره يعرضها العقل الباطن على ذلك الثاوي امام اطلال الراحلة ، العائش في ذكريات الفقد . تدعوه لان يحس بحركة الحياة وديمومتها ، واستمرارها ، ولان يعود مع الربيع المقبل الى تجربة حب جديد .

ولقد كان المطر رمزا للتجدد والازدهار في كل الاساطير القديمة ، وفي كل الآثار الانسانية العظيمة ، وكانت لفتة كريمة من المؤلف حين اشار الى ان شعرنا المعاصر حين استورد العلاقة بين المطر والتجدد والازدهار من « اليوت » فان المطر كان يحيا هذه الحياة الرمزية العميقة — ودون ان يحس الشاعر المعاصر — في شعرنا القديم .

وبعد هذه الجولة التي طالت مع صفحات هذا الكتاب القيم نستطيع القول بأن منهج « الرؤية الفنية » الذي تعامل معه الدكتور عبد العزيز الدسوقي في دراسته لبعض اشعار المتنبي ، والتي نشرت تباعا في مجلة الثقافة الزاهرة نلمح بينه وبين المنهج الذي اشار اليه المؤلف في هذا الكتاب بعض اوجه الاتفاق والافتراق ، فكلاهما يدعو الى التعامل مع النص ذاته ، والى الاستشفاف الذوقي والدلالي للاساليب والتعابير التي يلجأ اليها الشاعر ، وقد اختلفت التسمية عندهما على هذا النحو الواضح ، وكذا طريقة التناول والاداء ، فالدسوقي في دراسته لبعض اشعار المتنبي اعتمد على احساس ذاتي بالنص في الاغلب الاعم ، ولم ينس ان يعير جل الدراسات السابقة عن المتنبي التفاتة بين الحين والحين ، بمعنى ان تعامله مع النص كانت تحكمه — في الغالب — مسبكات فكرية ، بينما كان الدكتور انس يستضيء بتلك المسبقات — فحسب — دون ان يتخذها محورا رئيسا في كل ما عرض له من قصائد واشعار .

وايا ما كان الامر فان تلك النزعة التأثرية في الدراسات الادبية والنقدية الحديثة سوف تصبح مع مرور الايام من اهم العوامل التي تجعل بيننا وبين النصوص الادبية نثرا وشعرا ذلك التواصل المحبوب ، الذي كنا نفتقده في ضوء الدراسة التقليدية ، التي كانت تتعامل مع تلك النصوص من خلال مسبقات فكرية ، دون ان تخضع تلك النصوص خضوع الاسباب للمسببات ، مستنفدة جهدها في رصد وقائع التاريخ الشخصي والاجتماعي للشاعر ، وغير ذلك .

وثمة ملاحظات اخرى نود ان نسجلها على المؤلف في السطور التالية .

من الملاحظ ان شعرنا العربي ، عبر عصوره المتطاولة لا يخلو في احيان كثيرة من الناحية التقريرية ، والناحية الذهنية التي تجعله ذا بعد واحد ، وهذا ما يتنافى مع طبيعة المنهج الذي يدعو المؤلف اليه ، فهل يعني هذا ان نغض الطرف عن هذا الشعر ؟ او نقوم بمحو تلك الاشعار ونعمل على اسقاطها من كتب التراث لا لشيء الا لان معايير الشعر الرفيع لا تنطبق عليها . ام ان هذا المنهج كان ينبغي عليه ان يتقدم بمبادرته السلمية تجاه تلك الاشعار ، وان يقبلها ، ويجعل بينه وبينها ذلك التواصل الحميم وعلى نفس النمط الذي يربطه بالشعر الرفيع ، او بالشعر ذي الابعاد المختلفة ؟

واذا كان المؤلف يقول في ص ٤٨ ما نصه « وسواء كنا نؤمن بظاهر النص الديني فنعتقد في حقيقة وجود آدم في الجنة وهبوطه مع حواء ، او كنا نحسب ذلك من لغة التصوير الفني والتقريب الرمزي للاذهان الكليلة التي تخاطبها الاديان على قدر فهمها ، او كنا لا نؤمن على الاطلاق بالبيانات الدينية لاننا مشدودون بلغة العلم المعاصر ... سواء كنا مع هؤلاء واولئك فالجميع امام لغز العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة في حيرة شديدة » فاننا نختلف معه ولا نوافقه في شيء من ذلك بحال .

فالنص الديني مبرأ من الشك الذي ابداه المؤلف ، والذي احسسنا به وهو يقفز من بين السطور ، اذ من المؤكد ان القرآن الكريم نزل بالحق « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » وقصصه حق « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » ، « ان هذا لهو القصص الحق » ، « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق » .

كان على المؤلف ان يحسم رأيه في هذه المسألة اولا ، والا يدع للتردد او الشك سبيلا الى هذه القضية الخطيرة ، التي تتصل بالدين في الصميم ، ثم ينطلق الى اثبات حقيقة

واحتي

أي الرغائب تبتغيهـا صبوتـي ... مـن قرب نائية غدت انشودتي
في طـرف عينيها سؤال حائـر ... ماذا يـود نواله مـن صحبتي
وبطرف عينـي زاهـد في نسكه ... عف الضمير ، ولن يضيع كرامتي
فدعي الظنون، فلست أنشد في الهوى ... غير الجوى الموحي ودائم حيرتي
فلأنت مبعث مـا يحـرك لهفتي ... وأنا الضنين على سواك بلوعتي

ألقـاك في درب الحياة خميلة ... هل لي ملاذي في الطريق وواحتي
يـا عفة الصوت الشجي رنينه ... هو في ((المسرة)) ان ناى ، قيثارتي
يـا طهر عينك وهي في تحديقها ... عـذراء تسأل في حيـاء نظرتي
مـاذا تكون عليـه غاية مذهبي ... انـي أخـاف بدايتـي ونهايتي
أنـت العفـاف بدايـة ونهايـة ... وأنـا الامين علـى طهارة غايتي

القاهرة

احمد عبد المجيد

اننا سوف نستمر دوما امام علاقة الرجل بالمرأة في حيرة شديدة .. الخ .

ثم ان القرآن لم يكن يخاطب اذهانا كليلة ، فالمعروف ان الله تحدى بـه العرب ، وكانـوا اساطين البلاغة والفصاحة ، ثم اين تلك الاذهان الكليلة من تلك الحوادث التي لازمت نزول القرآن ؟ اين تلك الاذهان التي يعنيها المؤلف من ذلك العربي الذي سجد حين سمع قوله تعالى مخاطبا نبيه ((فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين)) فلما قيل له : اتسجد ايمانا بمحمد ؟ قال : لا . ما سجدت الا لبلاغة هذا القول وفصاحته ؟

ثم ان قوله ((او كنا لا نؤمن على الاطلاق بالبيانات الدينية لاننا مشدودون الى لغة العلم المعاصر)) لا ينبغي ان يصدر عنه .. لان لغة العلم متغيرة دوما ، واما تلك البيانات الدينية فهي من الامور الثابتة ، وهي على ثباتها هذا لا تتعارض مطلقا مع لغة العلم الصحيح ، في ارقى تعبير لهذه اللغة على ما نعتقد .

والمؤلف يؤكد على مسألة تأريخ القصائد ـــ فيما يتعلق بانتاج الشاعر وحده او بانتاج مجموعة من الشعراء في ظاهرة معينة من ظواهر الادب ـــ لان ذلك من شأنه ان يحدد المراحل الفكرية التي اجتازها الشاعر ، او المراحل التي مرت بها الظاهرة الادبية ، وان يقفنا على تضاريس شخصية الشاعر ، والمراحل التي واكبت هذه الشخصية في نموها المطرد ، وكذا على الخطوط البيانية للظاهرة الادبية ايضا ، فهل معنى هـذا اننا حين نفتقد التاريخ ـــ وكثيرا ما نفتقده ـــ فاننا نفتقد معه كل شيء فيما يتعلق بملاحظة التدرج الفكري والبياني عند الشاعر ، وملاحقة هذا التدرج في ظواهر الادب المختلفة ؟ ام ان انتاج الشاعر هو الذي يحمل علائم هذا التدرج في شتى مرحله ؟ ومن ثم يتعين على هذا المنهج ان يستمد ملاحظاته ـــ فيما يتعلق بتدرج الفكر والبيان عن الشاعر او في اية ظاهرة من ظواهر الادب ـــ من النصوص الشعرية ذاتها ، بصرف النظر عن هذه الناحية ، او بغض النظر عنها قليلا .

وبعد فان تلك الملاحظات لا تنال شيئا من قيمة العمل الذي قدمه لنا المؤلف على صفحات هذا الكتاب ، بل اننا نشد على يديه دوما ، ونطلب اليه ان يوافينا بالمزيد من نتائج رحلاته في لب الاشياء ، وفي عمق العمق للشعر الرفيع ، الذي يعول كثيرا عليه ، لانها تحمل بين جوانحها كثيرا من عوامل الازدهار للظاهرة الادبية ، التي نوليها كثيرا من الرعاية والعناية في عصرنا الحديث .

القاهرة

محمد سعد حسن

مـا هي السورياليـة

بقلم روز غريب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

* * *

ما هي السوريالية

تتعدد الابحاث وتتضارب الاقوال حول هـذا الموضوع الشائك . وهذه المقالة تحاول اختصار الآراء والتركيز على وجهة نظر .

السوريالية في راي اصحابها موقف من الوجود اكثر منها مذهبا شعريا او فنيا .

الشعر عندهم ليس غاية نفسه كمـا يقول اتباع « الفن للفن » . ليست وظيفته تسجيل حادثة او تمجيد مناسبة او معالجة قضية .

الشعر ذو وظيفة كونية لا تتحدد بزمان ولا بيئة . وظيفته تبديل الكون ، بناء الشخصية وتحرير الانسان .

كيف يتم هذا التحرير ؟

بالرجوع الى المنابع التي اشار اليها الرومنطيقيون ، اول دعاة التجديد والتحرير . بالرجوع الى الذات التي راوا فيها — كما راى افلاطون — مصدر المعرفة الالهامية والكنوز الخفية . الى منطقة اللاوعي او العقل الباطن ، في نظر السيكولوجيين ، الى عالم الحلم والرؤيا حيث تختمر الافكار وتنبعث آيات الخلق .

مهمة الشاعر والفنان كشف ذاته ، اطلاق حقيقتها المكبوتة بتحريرها من التقليد والتصنع والرياء . تعريتها كما عراها بودلير ورامبو وفرلين ودو نرفال وادغار آلن بو في اشعارهم .

مهمة الشاعر اطلاق روحه من سجنها . اخراجها من شباك الماضي ومن احابيل عالم نفعي . الغوص في عالم اللاوعي والانفراج الذاتي حيث لا ضغط ولا رقابة . دفعها الى الطيران والتحليق في سماء الخيال .

السوريالي بادراك وحدته الذاتية وجوهرها يدرك وحدة الكون وجوهره لان من عرف نفسه عرف الوجود . بتحرير نفسه يكتسب رؤيا كونية . ينتج الفن الخالص ، الشعر الصافي البريء من اغشية التعفن والاجترار .

جذور السوريالية وجدت في الرومنطيقية والرمزية لكنها ذهبت شوطا ابعد في الاتجاه الفلسفي والموقف الثوري المتطرف واستلهام اللاوعي حتى التداعي الحر والهذيان والكتابة الاوتوماتيكية .

جدد السورياليون نظرية ارسطو القائلة ان الشعر اقرب الى الفلسفة من التاريخ لانه يتناول الكليات . حملوا الفن ما لم يحمله اي مذهب سابق في موضوع المعرفة والتفكير الميتافيزيقي .

مبادئهم الفلسفية تنبع من تجاربهم او تعتمد على اسلافهم من رومنطيقيين وسواهم . منها اعتقادهم ان لا فرق بين الشعر والجنون . فالعالم يقوده مجانين امثال جيرار دو نرفال ، هولدرلين ، بودلـير ، لوتريامون ، دستويفسكي ، كافكا وسائر الذين « يتذكرون مـا قبل التاريخ » . يزعمون ان اللامعقول والسحر والغموض ميزات الشعر وان الشاعر تنفتح له اسرار الوجود . وحده قادر على الاتصال بالمجهول .

ان كثيرا من معتقداتهم مستوحى من القديم مثل قولهم بتوحيد الموت والحياة ، الالم واللذة ، الحزن والفرح ، وان العالم اضداد تنسجم وهو قول هيرقليطس اليوناني الذي عاش قبل سقراط . وان الحب يقترن بالعذاب وهو راي رومنطيقي . والمراة كائن مجهول ، مصدر راحة وعزاء او فتنة وهلاك ، وهو راي بودلير . كذلك يعتنقون قول بودلير ان الجمال مرادف للكآبة والموت ، وهذه الفكرة عينها تتضح في لوحات دولاكروا التي تضج بمناظر التعذيب والاعمال المرعبة .

السوريالية ، على مثال المذاهب التي سبقتها من رومنطيقية ورمزية او جاءت بعدها وتشمل مـا نسميه بالشعر الحديث ، حركة تعنى بتكوين الشخصية قبل عنايتها بتكوين الشعر . فالشاعر عندهم ذو شخصية مفردة . شبيه بفارس القرون الوسطى (الشفالييه) الذي ينذر نفسه لغاية انسانية شاقة .

الا ان للفن السوريالي — ومنه الشعر ، علامات قد تعين على تمييزه عـن سواه . منها انـه بخلاف الفن الرمزي ، يركز على تمثيل القبح وعرض المسوخ . يكرس المأساة والفوضى والتمرد والعبث . ميزته البارزة تحطيم العالم الظاهر ، تفتيته اشلاء ، ترمز الى رغبة الفنان في التحطيم ، لذلك نرى رسوم دالي للاشخاص اشلاء مبعثرة ورسوم بيكاسو اجساما مفككة ، تكشف بواطنها السمجة والوانها الصارخة .

الشعر السوريالي يقبل الشتيمة والتجديف والخشن القبيح من الالفاظ لانه يكشف اعماق اللاوعي ومكبوتات التمرد والطمع والشهوة الجنسية . يسعى لكشف المجهول ويعرض احلاما جنونيـة ، رؤى غريبـة ، وحشية ، مستحيلة . يجمع بين اغرب المتناقضات للدلالة على توق الشاعر الى عالم تتعانق فيه الاضداد وتؤلف وحدة تامة .

السوريالي يحلم بعالم ينعم اهله بحرية خالصة .

يحيون حياة الفطرة . قد زالت من بينهم الحواجز وانعدم التمييز بين الافراد على اختلافهم .

وقد اوردت في خاتمة هذا المقال مثلين من الشعر السوريالي . الاول قصيدة لهنري ملر ، «نشوة سوريالية»، تمثل تمرد الشاعر ، وهجوه لهذا العالم الموبوء الذي نعيش فيه . الثاني قصيدة لسوبرفييل تعرض حلما بتحطيم العالم المحسوس وقيام الوحدة الكونية في ارض تزول منها الاسماء وتتساوى المخلوقات ، نجد ما يشبه هذه القصيدة في « يوم احد بعد الظهر » لأراغون .

السؤال الذي يطرحه هذا الموضوع هو : اذا كان السورياليون يؤمنون بالحرية المطلقة ايعني هذا انهم يتحللون من كل قيمة اخلاقية ؟

في وسعنا الجواب بقولنا اولا ان الايمان بالحرية المطلقة يستتبع الايمان بحرية الآخرين . وهو راي لا ينفرد به السورياليون بل يشارك فيه سارتر وغيره من الوجوديين . فالانسان الحريص على حريته حريص كذلك على حرية سواه . والفلسفة السوريالية ثورة على الضغط والاستبداد والعدوان ايا كان مصدرها . وقد نشأ السورياليون بين الحربين الاخيرتين فكان من مبادئهم التمرد على المبادىء التي قيل لهم ان يحاربوا من اجلها والتي تحلل الاعتداء على الحريات .

ثانيا ان الفن السوريالي يرتكز اساسا على الصدق والصراحة ونبذ الرياء والتصنع لانه يفرض تعرية الذات والكشف عن الافكار المكبوتة في زوايا اللاوعي . فالصدق قيمة يتمسك بها السورياليون وان نبذوا غيرها من قيم . وفي بيان اندريه بروتون ، الناطق باسم السورياليين ، تشديد على نبذ ادب الدعاية لما يقبله من كذب وتمويه .

ثالثا ان السوريالية مذهب كوني شامل غير مرتبط بعصر او بيئة او وطن فهو لذلك يبرأ من التعصب والانحياز والانانية .

هذه الاعتبارات تجعل السوريالية فلسفة انسانية ، تستهدف خير البشر وتتفاءل بالمستقبل . واذا كان الادب او الفن السوريالي عنيفا في صوره وتعابيره ، فهو ينكر العنف في الحياة الواقعية . ينكر الحرب لانها لون من الوان الاعتداء على الحرية . وفي ايمانه بوحدة الوجود والدعوة لها تعبير عن شوقه العميق الى السلم والحرية الصحيحة .

ان السوريالية في انتقالها الى ايدي بعض شعرائنا المعاصرين في الشرق العربي تتعرض لتعديلات يفرضها الجو والبيئة . فالذين يعالجون قضية محلية بأسلوب سوريالي او متأثر بالسوريالية ، يبتعدون عن مبادئها ، الا اذا القوا على معانيهم وشاحا من الغموض او خلعوا عليها صفة عالمية . والذين يركزون على الثورة والتحطيم من غير ان يلاحقوا الهدف الوحدوي المنشود ويسعوا لبلوغ عالم الرؤيا الشاملة ، ليسوا من السوريالية في شيء. ومثلهم اصحاب الاسلوب المصطنع ، الذي يجافي الصدق والصراحة ولا يعبر عن حقيقة الانسان .

الشاعر الذي لا يعيش شعره والاديب الذي لا يعيش ادبه ولا يتخذه اداة لتكوين شخصيته وتحريرها من ادران الكذب والنفعية ، كلاهما لا يعيش في عصره ولا يراعي مبادىء الفن الحديث .

نشوة سوريالية ــ لهنري ملر

هناك كثرة من الاعمدة المهترئة ما تزال واقفة . كثرة من البشرية الذاوية تعيق التفتح البشري . البنية العليا اكذوبة والاساس خوف ضخم شديد الاهتزاز .

اي انسان ذو عين يائسة ، جائعة
يستطيع ان يشعر بأي ثقة في ......
من اللاشيء ترتفع علامة اللانهاية ، تحت اللولبيات الدائمة الارتفاع ، تنفتح الهوة الفاغرة فاها ، تنفتح ببطء .
وراء نبل الحركات يكمن شبح سخافتها .
ليس الانسان نبيلا فحسب لكنه مضحك .
في وقت من الاوقات ظننت ان الانسانية ارفع ما يمكن ان يبلغه الانسان اما الآن فأرى انها اداة لهدمي
اقول اليوم بكل افتخار اني لا انساني
لا انتمي الى الناس والحكومات ولا اؤمن بالمبادىء . .
ولا يعنيني امر الآليات البشرية المحطمة
انا انتمي الى الارض
كل من ينتمي الى نسل الارض يقف عاليا
يحشو فمه بالقمامة ويخرج احشاءه
هكذا يجب ان يفعل لان هذا عدل وصواب .

هكذا هو الفن . وليس فنا ما لم يرتكز على هذا المشهد المرعب ، السكران ، الموبوء .

كل ما ليس مرعبا ، موبوءا ، مهزوزا ، منتشيا ، وحشيا ، ليس فنا لكنه تقليد انساني ، يقع في دائرة الحياة واللاحياة .

انا لا انساني لان عالمي انزلق عن حدوده الانسانية .
لان الانسانية تعني الفقر ، الشقاء ، الحزن ، البقاء المحدود بالحواس ، المحاط بالشرائع والقوانين ، الوجود المضغوط بالمسطحات والمنظمات .

خذوا عنا الندب والرثاء
خذوا عنا التواريخ والسير والمكتبات والمتاحف .
ليأكل الاموات الاموات
لنرقص حول فوهة البركان
رقصة الموت الاخيرة !
لنتحد بالزمان
لنمزج صورة المابعد بالهنا والآن
امنية انتحارية
ترصها الكلمات ويجمدها الفكر .

انا والربيع

أنـا شاعر متوقـد الاحساس ... احيا غريب الروح بين الناس
وأنـا الفني بفكرتي وعواطفي ... والمستخف بطعنة الدساس
والحب من عهد الشباب ولم يزل ... بدجى أساي يضيء كالنبراس
أهوى الجمال ، جمال كل صبية ... تسبي النفوس بقدها المياس
وأهيم في دنيا الطبيعة عاشقا ... للورد يرفل بالشذا ، للياس
وعلى بساط المرج أمرح لاهيا ... وأظل أحلم باللقا ...
والراسقي المستحم بعطره ... والفل والجوري من جلاسي
وأطير كالعصفور بين براعم ... خضر وأمزج بالندى أنفاسي
وأزف كالشحرور آيات الفنا ... ثمل الهوى في موكب الاعراس

هذا الربيع كسا الحقول مطارفا ... فبدت كخود في أرق لباس
من سحره الخلاب يستوحي النهى ... شعري ومن نفحاته أقباسي
بعبيره الهامي غسلت كآبتي ... وبكنز مفناه انطوى افلاسي
ونثرت أحلامي على أزهاره ... وبظله قد عرشت أغراسي
غزلي وأشعاري وما خط الحجى ... من سانحات الفكر في قرطاسي

هو للربيع وهل سواه بذي الدنى ... من راحم لمتيم ومواسي ؟

بغداد — خضر عباس الصالحي

من شعر سوبرفييل

يوما ما لن تكون الارض
سوى مدى اعمى يدور
يتمازج فيه الليل والنهار
تحت سماء جبال الانذ اللامحدودة .
لن يكون فيها جبال ،
حتى الوهدة الصغيرة تختفي .
من جميع بيوت العالم
لن يبقى الا شرفة
ومن خريطة البشر
حزن بلا سقف
من المحيط الاطلسي الفقيد
لن يبقى سوى طعم مالح صغير في الهواء
سمكة طائرة سحرية
لن تعرف شيئا عن البحر .

من عربة ١٩٠٥
(الدواليب الاربعة وبدون طريق)
ثلاث فتيات من ذلك العهد
يبقين في شكل بخار
يتطلعن من النافذة
يفكرن ان باريس غير بعيدة
ولن يشعرن بسوى الرائحة ،
رائحة السماء التي تأخذ بحلقك .
مكان الغابة
يرتفع صوت عصفور
لا يعرف احد مكانه
لا يقدر احد على تفضيله او سماعه
الا الله الذي يصغي اليه ويقول : هذا حسون !

روز غريب

بكاء..

بقلم حسني سيد لبيب

قصة

نجاة، زوجة مخلصة. ما في ذلك ادنى شك. تعرفت عليها في حفل. وتشاء الظروف ان يتوطد التعارف، ويصير اللقاء رغبة ملحة ندمنها ولا نستطيع الفكاك منها. ونمت في قلبينا شجيرة الحب الخضراء، وكان الزواج ثمرتها اليانعة. وبعد الزواج، كانت نجاة زوجة مخلصة. عرفت من طباعها شأن ما يعرفه الزوج عن زوجته، ولم تكن هذه المعرفة لتغير من حبي لها. انها المعرفة بالتفاصيل عندما يعيش الزوجان تحت سقف واحد. ومما عرفته من طباعها غرامها بمسلسلات التليفزيون، وتغضب اذا لم اشاهدها معها، واقبل رغم شواغلي، وقلة اهتمامي بالمسلسلات. ومن طباعها التي لم اكن اعرفها، عنايتها الفائقة بالقطط، فتطعمها وتسقيها، وتدللها، ويفيض حنانها على القطط لدرجة تستثير حفيظتي، وانا الذي انفر حتى من رؤيتها، ويرتعد جسمي اذا لمست قطة. ولم اجد غضاضة في تقبل امثال هذه الطباع.

ما اكثر نوبات بكاء نجاة، وما اكثر التوافه التي تغضبها، وتثير اعصابها فتحتد، وتلقي الكلام على عواهنه، غير مقدرة لعواقبه. وهذه طبيعة كنت اعرف النذر اليسير منها، لكنها تجسدت بعد الزواج، حين ازددت قربا منها، فصارت داء وبيلا، يؤلمني فشلي في علاجه.

وما اعرفه عن اخلاصها ووفائها، يجعلني اتغاضى عن اشياء كثيرة قد تضايقني، او تحملني اعباء نفسية.

وما لم اكن اعرفه عنها، وعرفته بعد اقتراني بها بشهور قلائل، هو انها عديمة الثقة بالناس. لم تصادق سوى وفاء، الناحلة القوام. تطل مسحة الجمال من عينيها السوداوين، ومن شعرها الفاحم السواد المسدل على كتفيها. لصوتها نبرة قوية توحي بالثقة. وقد دخلت وفاء حياتنا من اوسع الابواب.

تتأخر نجاة احيانا عن موعد مجيئها من العمل، واعرف منها انها زارت وفاء. وكثيرا ما تدعوني للذهاب معها الى وفاء، وقد لبيت الدعوة مرة واحدة، تعرفت خلالها على زوجها الدمث الخلق، ثم لم البث ان اعتذرت في المرات التالية، وسمحت لها بزيارة وفاء بمفردها. حاسة خفية تؤكد لي انها تذهب الى وفاء وقتما تشعر بضيق، ثم تعود متهللة الاسارير، باشة، ولا ادري اي سحر يجذبها اليها. وكضيقي من عنايتها بالقطط، بدأ الضيق يتسرب الي من صداقتها هذه، حتى غرت على زوجتي! . اصبحت وفاء سحابة قاتمة في سماء حياتي. وبرغم ندرة لقاءاتي بها، الا انها حية ماثلة قبالتي، لطول سماعي اسمها يتردد من بين شفتي زوجتي.

ذات مرة سألت نجاة:

— كيف تعرفت على وفاء؟

قالت والبشر يغزو محياها:

— كانت زميلتي في الثانوي.

— عظيم. هذه هي الصداقة، حقا.. عظيم.. عظيم..

ويبدو ان ضيقا ما احاول اخفاءه، لكنه على اية حال ضيق يساور النفس، ولا فكاك منه.

وحين أختلف مع نجاة في شيء، اجدها تغضب سريعا، وتزم شفتيها، وتقطب ما بين حاجبيها، ثم تغلق غرفتها، وتمضي فيها ساعات طوال، ولا تسمح لي بمصالحتها.. واشقى طوال اليوم. احاول التودد اليها، وانهاء اسباب الضيق، فأفشل. ثم اجدها تتهيأ للخروج، ولا تستأذن مني، واسامح في هذا، لما اجدها عليه من قلق. وحين تعود في المساء المتأخر، اجد ما ساورها من ضيق قد تلاشى، او تضاءل. وتلقي علي تحية المساء، فأتفاءل، واسأل:

— اين ذهبت؟

فتجيبني:

— زرت وفاء.

ولا اعقب، فتستطرد:

— كنت متضايقة.

وما اكثر مرات ضيقها، وزيارتها لوفاء. واقول لنفسي: لقد الفت عنايتها بالقطط، برغم كرهي للقطط. وبرغم عدم اقتناعي بكثرة غيابها عن البيت، ينبغي ان ابارك علاقتها بوفاء.

وتطورت العلاقة بينهما، واصبحت تحادثها في الهاتف يوميا. تحكي لها شؤونها وشواغلها، وتستشيرها في اعقد المشاكل وابسطها على السواء. حتى انني صرت ادلل وفاء فألقبها «بالمستشار»، واردد اللقب على مسامع زوجتي فتضحك قائلة:

— ما بك، أتريد ان تحرمني من صديقتي؟

— ابدا والله... احببت وفاء. تنظر الي شذرا، فأقول لها:

— اقصد اني اعتز بها. وما دمت تحبينها كل هذا الحب، فلا بد ان تحتل منزلة رفيعة في قلبي

وتعتبر كلماتي هذه ترجمة لحبنا ، فستطير بها ، وتهديني قبلة سريعة.

ولكن وفاء هذه ، برغم ما اقوله عنها ، فهي الغائبة المقيمة . غائبة لاني نادرا ما اراها او التقي بها . ومقيمة ، لانها تشغل كثيرا من تفكيري ، كلما رايت نجاة تتصل بها او تزورها . وتمنيت لو قمت بثورة في بيتنا الصغير ، فأطرد القطط ، وامنع نجاة من الاتصال بصديقتها . لكنها ثورة في الخيال ، امنية اود تحقيقها حتى لا ينازعني احد في حب نجاة . هل هي الغيرة العمياء ام ماذا ؟ .

ذات يوم ، رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث وفاء ، ولم تكن زوجتي موجودة . دفعني شيء ما الى عدم اخبارها . ولما عرفت ، انبتني وعاتبتني ، ثم احتدت سريعا ، وغلى الدم في عروقها ، وتعدى الامر ذلك ، فهددتني بترك البيت . وكانت صدمة قاسية لم اتوقعها . ولمفاجأتها ، لذت بالصمت لحظات قاسية ، ثم ثرت في وجهها :

ــ لا ، لا ... من حقي ان امنعك من الاتصال بوفاء .

قالت في تحد سافر :

ــ افعل ما شئت ... وسأعصى اوامرك .

اصبحت على حافة الانهيار . غير قادر انا على اتخاذ اي قرار يبعدني عن نجاة ، او يكون سببا في الهجر . هدات ثورتي قليلا . وقلت متوددا :

ــ اتكون وفاء سبب متاعبنا ؟

ــ وفاء لا ذنب لها فيما تفعل .

ــ اني ، يا نجاة ...

ولم أشأ ان اكمل . كنت سأقول لها : « اني اغار عليك من وفاء ! » . وبعد صمت يشوبه التردد ، قلت وأنا اهز كتفيها في قوة :

ــ ارجو ان تقبلي اعتذاري . وفاء صديقتي مثلما هي صديقتك .

تسرب الى نفسي ضيق من الصنيف الثقيل ، الذي لا التقي به الا لماما ، لكنه يقاسمني حياتي . واستنفدت الحيل من اجل التقليل من اهمية هذا (المستشار) ، ثم لا أملك الا التسليم بما هو كائن . في حياتنا امور نضطر الى قبولها برغم عدم اقتناعنا بها . ان زوجتي لا تعتبر البيت هو كل عالمها ، وانما بيت صديقتها جزء من هذا العالم ، جزء لا تستطيع الاستغناء عنه. واعتورني شك في ميل نجاة تجاه زوج وفاء ، لكني سرعان ما طردت الشك ، بعدما تاكدت من اخلاصها . كما قمت ببعض الحيل لجلاء الحقيقة ، سيما ان زوج وفاء يعمل في مكان بالبحر الاحمر ، ولا يتواجد في البيت الا اسبوعا كل ثلاثة اشهر . وخلال هذا الاسبوع ، تحرص نجاة على اصطحابي معها ، وفي حالة اعتذاري ، تحجم عن الزيارة وهي مكرهة ، مما زادني تعلقا بها ، وغفرانا لهناتها التي تضايقني .

وذات يوم ، قالت لي :

ــ المستشار مريض بالقلب ..

وحين لقبتها بالمستشار ، حسبتها تضاحكني ، لكن النبأ كان أليما .. ومضت لحظات صمت ، انفجرت بعدها ببكاء ونشيج متواصلين ، وقالت كلمات مبهمة لم استطع تفسيرها .

قامت باجازة لمدة اسبوع . تخرج صباحا ولا تعود الا في المساء . وعند نهاية الاسبوع ، فجعنا بموتها . احسست بغصة في حلقي . كان النبأ كالبرق الصاعق ، ولم يكن كلانا مهيأ لسماعه ، وهكذا الموت يأتي فجأة .

انطوت نجاة على نفسها . لازمت غرفتها لا تخرج منها الا لماما . احاول التسرية عنها ، واهون عليها المصاب ! . واضطر زوج وفاء ان يحضر ليعزي نجاة من وفاة زوجته ! عيون القطط مذعورة . امعن النظر في القطط التي تموء ، وهي تحوم حول نجاة ، لكنها عنها عازفة . احزنني مواء القطط ، فاضطررت الى اطعامها . أسأل زوجتي ، فتجيبني بكلمات موجزة ، واعمد الى تقديم الطعام ، مادا يدي عن بعد . ثم ارقب القطط وهي تأكل ، فاغتبط. وتعودت اطعام القطط بانتظام .

حين خرجت زوجتي من عزلتها ، بدات توليني اهتماما زائدا ، عكس ما كنت اتوقع . كما تضاءل غضبها لأتفه الاسباب . ولكنني احسست ان شيئا سلبيا وراء هذا التغيير ، تعوضه هي بطريقتها . اعمد الى فتح التليفزيون ، وادعوها لمتابعة احد المسلسلات ، فتلبي بعد لأي ، ارضاء لي .

وفي المساء ، يطول بنا الحديث ، ونقيصة يحس بها كلانا . تعتريني لحظات صمت ثقيلة ، ارنو خلالها الى العينين اللتين كحلهما الحزن وليله الاسود . انتقل الحزن الى القطط التي علا مواؤها ، وقلت شهيتها للطعام . الضيف الذي اثقلني في حياته ، اثقل علي حياتي في مماته . اقرا الحزن في عيني زوجتي ، وفي عيون القطط ، وفي ارجاء البيت ، وفي عالمي الاثير ، واذا بالحزن ماثل قبالتي . الصورة التي كانت تضايقني ، اصبحت حبيبة الى نفسي ، ولكنها عزيزة المنال ! .

ان يد المنون قد اغتالت مستشارنا الوفي .

اني ... اوشك ان ابكي ! .

القاهرة حسني سيد لبيب

وليدة اللحظة

*

ليلى السايح

*

الكويت

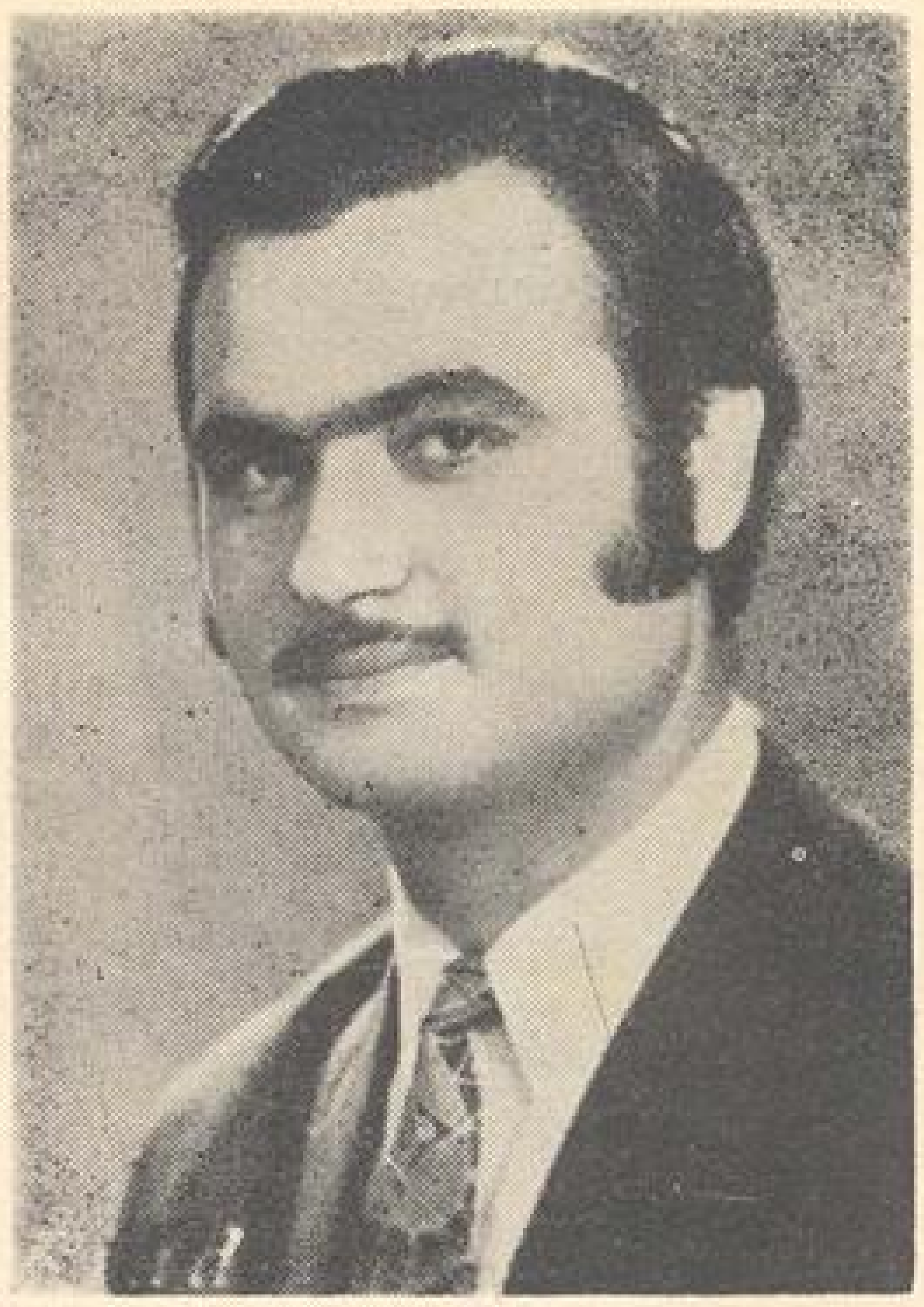


قال لي :

ليتني أمتلك ألف عين لأرى سحرك
يحوطني ، ينغرز في مسافاتي
يلفني بشعاع أخضر
ينبع من توهج عينيك

قلت :

ليت لي ألف عين لأستطيع أن أقرأك
وأقرأ ألف كتاب في وقت واحد
فتحيط بي أنت
والكلمة ـ الانسانية ـ اسرار الوجود
وكان .. الحسم !
انسانيتي تستنكر
ترفض أن يتعبد في أنوثتي انسان
ولو كان هذا الانسان أنت
وأنت .. الرجل
تتأمس متعة لذاتك في ..
أني اداة لذاتك
وأنا ... المراة
أقرأك كتابا أنفذ منه الى كينونتي
قد تكون النهائيات والغايات واحدة
ذاتية .. مفعمة بالانبهار
ذاتيتي ، أن اكتشفك انسانا ، وأفهم العالم !
أنانيتي ، أن ألمس سر الكون خلال قلبك
ذاتيتك : أن أكون متعتك
أنانيتك : أن اكون أنت
حيث أذوب .. أندمج في نسيجك
(مجرد أنثى) تمتلكها .
وتبقى أنت .. مسيطرا مستمتعا
مستلبا مني وجودي
وكان الحسم
الهدف .. متعة ! الهدف معرفة
شتان بين المعنيين
بين النقطتين المتناقضتين
المعرفة أيضا متعة
لكنها تعود الى العالم من حولي حصيلتها
ما أنا فيها سوى جسر تعبره الى آخرين
لا تبرير .. لا تصحيح .. لا استئناف ..
وكان الحسم :
أن نفترق !



فوزي عطوي

كتبت اليك

بقلم فوزي عطوي

* * *

تائهة على دروب السنين

وتمر بك السنون ، فتطبع آثارها على هذا الجبين الرفيع ، وتخافين ان تكبري ، تخافين ان تحرمك السنون لذة الشعور بأنك ، بعد ، صغيرة مغناج !

واذا انت في قلق الازدواج : قلق البنت ترتمي على صدر امها ، وقلق الام ترتمي على صدرها ابنتها ، فيتجاذبك شعور الصغيرة البريئة الخالية من هموم هذا الكون ، وشعور المراة الخائفة من دبيب الايام على جبينها الواقف بكبرياء في مهرجان الجمال .

لكن العناقيد ، يا حلوة البوح الواله ، لا تشتهى اذا لم تلوح جبينها اشعة الشمس ، واذا لم تطبع الايام برياحها واعاصيرها ونسائمها وتناقضاتها ، آثارها عليها .

والانوثة لا تجمل ولا تخلب ، ان لم تقلبها التجارب على مثل نيران المجامر ، والقلوب لا تصفو مشاعرها اذا حرمت لذة الصراع ، في تجربة الالم والامل . والبطولة ، لا يضوع منها عبير الشموخ ، اذا لم يحمل صاحبها جراحاته ، في الروح والجسد ، سواء بسواء !

ويبقى انك كلما كبرت يوما ، كلما كبر حبك في قلبي ، وكلما تعمق وفاؤك في نفسي ، وشعرت انني في حاجة اليك ، يا تائهة الخطو على دروب السنين .

ترحلين عني الي

وقرات لك حديث البداية والنهاية . ومن عجب انك ، اذ سكرت الاغصان من الشذا ، في تلك البقعة السندسية ، رحت تفكرين بالنهاية !

غريبة الاطوار انت في ذاك الحديث ! وما عهدتك ، يوما ، غريبة الاطوار !

احقا ما زال الذي هل في سمائك ، واذاقك حلو العناقيد ، غريبا عنك ، تفزعين اليه حينا ، وتفزعين منه الى نفسك ، حينا آخر ؟

احقا تفكرين بالرحيل عن ذاك الفتى الغارق في مطامحه ، الذي علمك وتعلم منك كيف يستطيع المرء ان يزرع النهار في قلب الليل ، وان يزيح اشباح الضباب عن وجه الصباح ؟ !

ترحلين عنه ؟ .. جربي ان تستطيعي .

ولئن رحلت — صدقيني — لن يكون امامك الا طريق واحد ، ولسوف اراك تنسابين انسياب النغم الحنون ، في ذاك الطريق !

سترحلين عنه ان شئت .

ولكن سترحلين عنه اليه ، وسيرضى غرورك ، اذ كتبت النهاية بيدك ، لكنك ستفرحين اذ تشعرين ان ما كتبت كان تأكيدا لبداية ما اعترفت لها بنهاية !

غدا ، يا صديقتي ، كلهم سينتهون !

واما نحن ، فسنكتب ، كل يوم ، بداية جديدة !!

زائرة الكرى الوسنان

رفقا ، سألتك ، يا زائرتي حتى في الكرى الوسنان !

بي منك بعض ما بك مني ،

بي من الحنين الى ضوء عينيك ،

الى دفء التفاتاتك ،

الى رقة صوتك ،

الى روعة ثغرك المرسوم بالنار ، والملون بأشعة اللهب ،

الى عنقك المسكوب من اطلالة الزنبق ،

الى خصرك المعجون بالندى والطيب ،

الى انامك المنحوتة بازميل من السحر ،

بي من الحنين الى كل ما فيك من قيم الروح وكنوز الجسد ، اضعاف ما بك من الحنين الي .

ومع ما بي من الحنين ، اخشى عليك من زيارة

مفاجئة ، حتى ولو في وضح النهار !

اما انت ، يا جشعة الحنان ، فتزورينني ان فتحت العين ، وان اغمضتها ، فأنت اول صورة ترتسم ان افقت ، وآخر صورة تتلألأ في الخاطر ، ان اغفيت !

وتزورينني ان قرات ، وان كتبت
وتزورينني ان تبسمت وان قطبت الجبين !
فاية زائرة انت ، لا تفارق عالمي ؟!
وعفوك ، يا احب الناس !
وهمت .. حسبتك زائرة .
نسيت برهة انك بعض ذاتي .

في غابة الشمس والظل

تسمعين ، يا اميرتي ، بعروس النيل ، تقفز فوق مياه الوادي القديم ، تنشر العطر والسحر ، حيث ترسم خطاها خطا من الوهم ، لا يقرأ ؟!

كذلك كنت في غابة الشمس والظل ، بين الغصون المتهدلة من حولنا ، المنصتة الى حديث الملائكة ما بيننا ، والى بعض اعمال العفاريت !

كنت عروس العنبر ، تجنين ازهاره التي ربما كانت تروت بغيمة الازهار الربيعية ، وترقصين مختالة ، فرحة ، سعيدة بالحبيب الذي بث من حولك اهداب عينيه ، يحرسك من عيون النسمة البليلة ان هي مست طرف ثوبك العطر ، ومن اذى اللهثة ، ان المت بصدرك ، وانت تخضعين الشجر لندي الانامل ، كأنك في يوم القطاف !

ويا ملهمتي اروع ما تمتمت به الشفتان !

كانت الدنيا ولم تكن ، ظهيرة اخترعنا من حولنا دنيانا ، وخلعنا عليها من شبابنا وحبنا وشوقنا المشبوب ، مطارف السحر ، ووشحناها بالسندسي المخضوضر من احلامنا !

ولم نكن في وحدتنا هناك ، عند فم الوادي المصعد نحو التلال ، مثل تصاعد صلوات الحب على شفتينا المتحدتين في عناقنا الحالم المحموم ، لم نكن نعاني من الوحدة وحشة او غربة !

فيوم تلاقينا على هذا الهوى الموصول المغموس في احلام الزنابق ، كفرنا بعمر قديم كنا فيه غرباء عن دنيانا ، وآمنا بوطن من الحلم والحب والوفاء ، نحمل جنسيته وحده ، دون سائر الاوطان !

اقلم اظافر الشوك

لحبك الحلو النضير ، لجمالك المؤتزر بضوء الزنابق ، لتدللك الحبيب ، وقد عرفت مقامك في قلب الحبيب ، لك انت يا حبيبتي اقول : « نعم » ، والف « نعم » اقول !

اما اذا حملت قوافي القصائد ومتونها واوزانها وتفعيلاتها ايماءة ولو بعيدة الى ما يمس الطهر الذي اقدس في روحك الغالية ، فالف الف « لا » اقول ، ولا اسأل من يرضى ومن يغضب ، ولا اسأل ان رضيت او غضبت لهذه الالف الف « لا » ! فأنت عندي فوق الشبهات ، ونبلك ارقى من الشكوك والاوهام والظنون !

ولقد يكون لشاعر حقه في ان يجمح مع الخيال ، فلا ينضبط له قول ، ولا يعتدل له نداء تائه النغمات ،

لكن لي ان اقلم اظافر الشوك ، ان حدثته نفسه ، ولو سرا ، بمس الزهر او لمس العبير !

وحسبك ، ان اثرت انفعالك او اثرت انفعالي ، انني لاجل الحب افعل ، ولاجل الحب تفعلين ، فلا نرضى بجناية يرتكبها خيال جانح او توهم جامح !

ويبقى ما بيننا في مثل نقاء ضمير الانبياء !

تجاوزت هذه التفاهات

اكتب اليك ، وقد استعدت بعض هدوئي ، اثر العاصفة التي اثرتها بدون سبب ، وحملتني مسؤولية امور لا علاقة لي بها ، ولكنها تتفاعل في نفسك ، منذ وقت طويل ، وها انت تفجرينها دفعة واحدة في وجه رجل اقل ما يحتاج اليه هو اليد المترفقة ، والقلب الرقيق الحاني ، بعدما اتعبته مشاغل الايام ، واصبح يخشى على نفسه ان يصبح كمثل آلة صماء بكماء ، تعمل وتعمل ، ولا حق لها في التعبير عن خلجاتها ، او الارتواء من نداءات مشاعرها .

لن اعاتبك ، ولن اوجه اليك اللوم ، فان اشد ما يحملني على محبتك واحترامك ، هو صدقك مع نفسك ومع الآخرين . ولانك صادقة ، اثق بأنك تحبين ان يحدثك الناس — واقرب الناس خاصة — بصدق وبمحبة خالصة .

انت يا عزيزتي تعرفين ان تحبي بعنف . ولكنك تعرفين كيف تنفرين حتى من يصل حبه لك الى حد التقديس — بعنف ايضا — وهذا اول اخطائك ، لانك تنسين ان المحب قد يغفر كل شيء الا الاساءة الى احاسيسه وكرامته . ومن العبث ان يسيء انسان الى انسان بناء على اوهام وخيالات تعمي البصيرة والبصر ، وتجعل صاحبها يطلق الاحكام بغير روية .

ثم انك تحسبين نفسك وحيدة في فهم ابعاد الحب واعماقه ، وقد بلغ بك الجموح حد اعطاء غيرك دروسا قاسية في الحب . ولكن الافضل هو القاء الدروس على طالب مبتدىء ما يزال يتلمس طريقه الى هيكل الهوى الاقدس ، اما بيع الماء في حارة السقائين ، فتجارة خائبة ، لا ريب في ذلك .

واسوأ انفعالاتك انك نسيت كيف يبتسم الناس . وصدقيني ، وثقي بكلامي الذي اصبح غير موثوق لديك ، انك بالابتسامة الهادئة تديرين العالم كله ، وانك بالعبوس

وتقطيب الجبين لا تحلين مشكلة تافهة من مشاكل الحياة الكثيرة .

واما حديثك عن تفاوت المستويات ، فاياك اياك ان تكرري هذا الحديث على مسمع انسان ، اي انسان كان . اما أنا ، فلعلك تعرفين ، كما يعرف الناس جميعا ، انني بدات من نقطة تقارب الصفر ، وان نعمة الله تجعلني اتوجه اليه بالشكر ، فلم يبطرني مال ، ولم يغرني لقب ، ولم يعمني منصب ، ولم تحجر مشاعري شهرة ، فقد تجاوزت كل هذه التفاهات ، واصبحت واثقا انني ، ان كنت حققت ذاتي بعد كفاح طويل مرير ، فلكي ارفع مستوى عائلة كبيرة ، ولكي اؤمن مستقبل عائلة صغيرة هي التي تملك كل القابي ومناصبي واموالي وشهرتي ومشاعري ، وهي التي احس بلذة الوجود من اجلها ، ولا ينتقص من تفاني الامثل نحوها ان لـي احاسيسي ، ووجداني ، وعالمي الشاعري الحميم ، ومطامحي المستقبلية الرائعة التي لم يخلق فوق هذه الارض انسان يحق له مجادلتي فيها .

هل ترين الى اي مدى يولد الانفعال الانفعال ، والى اي مدى يعرف المتهم البريء الذي يحسن التصرف مـع الناس ، كيف يدافع عن اقدس اقداسه ، دون ان يمس انسانا واحدا بسوء ؟

هذه بعض الحقائق الصريحة التي احببت ان اسطرها اليك ، بوحي من احترامي لك ، ومحبتي لما فيك من مزايا مـا تزال تغطي على الكثير من الاخطاء والهفوات التي توقعين نفسك فيها .

لقد كنت واضحا وصريحا وشجاعا في تعاملي معك ، واحببتك واضحة وصريحة وشجاعة في تعاملك معي ، لكنك يوم تركت لانفعالك ان يتجاوز حدوده ، تسببت في شجون لا احب ان الومك عليها ، ولا احب بعدها ان اخسر صداقتك العزيزة . مع تقديري واحترامي .

هذه طريقنا رسمناها

بوحي بكل خاطر شجي ، وانثري في مسمعي انداء صوتك الحريري ، ولا تكتمي في النفس أيا من موجعات المشاعر !

وثوري ، ساعة تلذ لك الثورة ، وتمردي لحظة يطيب لك التمرد ، واغضبي ولومي ، وعاتبي وعاقبي ، وما تحبين فافعلي !

اني اخذت نفسي بعهد أراني فيه ملزما بالدفاع عن حريتك ، وبصون كرامتك ، والضن بحبك الاحلى !

انا لا احب لخاطر ، ولو سربه اليك التوهم ، ان يدخل على قلبك اليأس ، بعد ان رايته يرقص في موسم الامل ، ويغني في مهرجان الفرح .

ولا احب لترانيمك النشوى ، ان تستحيل تراتيل تتلى كالتراتيل الحزينة !

ولا احب لغير البسمة الحلوة ان تأتلق على ثغر قلمك الطيب الانفاس !

وثقي ، يا حبيبتي ، انني ابسط لك الذراعين ، وافتح لك الصدر ، لترتمي بين احضان حبي وحناني . واذ ذاك ، تبددين من نفسك القلق ، والتعب ، والواقع الذي تحيين على هاجسه ، او تزدادين نشوة على نشوة ، في عرس وصالنا الابدي !

ان هذه طريقنا رسمناها ،

وان هذا قرارنا ، سلسلناه مـن قناعة وحكمة ، ووثقناه بعاطفة سماوية جعلتنا في عداد الاغنياء بالروح !

على جناح من الزهر

كنت آليت ، يا ملهمة ، الا آخذ الدروس عن احد ، ففي تجارب عمري معين لا ينضب ، وفي معاناتي الوجدانية ما يوفر علي مشقة تلقي الدروس .

لكنني لا ادري كيف شعرت بنفسي ، اليوم ، تلميذا صغيرا بين يديك ، فتعلمت عنك ان رجلا في مثل همومي ومشاغلي وفرط حساسيتي ، لا غنى له عن صدر امراة تغمره بانسانيتها ونبلها ، وتشاطره ما هو فيه من اشجان ، وتحمل عنه قسطا من همومه .

احببت ان اوفر عليك مشقة المشاطرة فيما اكابد من مشقة . فحاولت عبثا ان ارجع عقارب الساعة القهقرى ، فلا يعذبني فوات الموعد المعهود .

لكنني ، وقد تناهى الى مسمعي همسك الملائكي الحبيب ، ممتزجا بملامح العتاب الرقيق ، على اني لم الق على كتفيك براسي المتعب ، احسست اية كبيرة انت ، يا امراة يحبل قلبها بالعواطف بلا دنس ، ويهذب نبلها وتواضعها وصدقها ما في نفسي من شموخ الرجال !

فان عرفت اي عالم جديد خلقته لي ، واي افق عاطر جعلت احلامي تطير اليه على جناح من الزهر ، والحب ، والضياء ، ادركت كـم احبك ، كـم احبك يا غالية !

العقد الملهوف

هذه انت ، يا حلوة اللفتات ، ترشين الليلك النشوان بسحرك المعجون بالوسن !

وهذا عقدي الملهوف يثير بي حسدي له ، وهو يطوق العنق الشهي ، سبحان من خلق !

من زمان ، يا حبيبتي ، تعاهد بنو البشر على ان يكون الرباط بين رجل وامراة ، خاتما وسوارا ، ولكنهم لم يكتشفوا قبلنا قدسية الرباط الذي حبوتك ، بعد اذ اعجبك مثيله ، وهو يحيط بعنقي .

ولو كان للناس ان يطوروا نظرتهم الـى العلائق

الانسانية النبيلة ، ثم لو كان لهم ان يتخيروا وسيلة غير وسائلهم لعقد الاواصر بين القلوب ، وسكب النفوس في اعماق النفوس ، لما اكتشفوا خيرا مما اكتشفنا ، ولاعترفوا لنا ، غير مكابرين ، اننا في عالم الحب رواده الاوائل !

بداية ما بيننا كانت بطولة ، وكانت ثورة ، وكانت اكثر من كبرياء !

لاول مرة ، في تاريخ حب يسطره رجل وامراة ، لا يسعى الرجل الى اخضاع امراة ، ولا تسعى المراة الى اذلال رجل .

لاول مرة ، تكبر امراة في الرجل شموخه المئناف ، ويعبد رجل في المراة سموا ملونا بكبرياء الجمال !

ويسألونك ، بعد ، من احببت قبلي ؟ ومن احببت قبلك ، يسألونني ؟!

ذاك تاريخ قديم قد محوناه ، لاننا تعاهدنا على التبرؤ من قديم يعرقل مسيرة تاريخنا الجديد !

لمن التمس العذر ؟

فوجئت ، لا ريب ، بالنغم الذبيح ، وقد تفجر من خلال القوافي ، آهات تحرق اذ تحترق !

وما ادري لمن التمس العذر : لي ام لك ، ام لنا معا ، بعدما شاءت ظروف لا افهمها الى الآن ، ان يتمزق شراع زورقنا ، وهو في هداة السكون الهانيء ، فيتلقى الزورق اصطفاق المجاذيف ، عند جنباته ، ونقلق نحن ، رغم انسراحة الروح السعيدة التي كنا نملأ بها الدنيا من حولنا ، بشاشة نشوى ، وحبا عاطر النسمات !

فوجئت انني ولدت هذا العام ، مرة جديدة ، ولربما كان علي ان اصدق الذين قالوا انك لم تحبي ان تذكري وتذكري ، لئلا يكبر عمرنا عاما آخر ، فنحس اننا في طريق الحرمان من لذاذات الطفولة .

لكنني ، كما تعهدين ، اعرف ان احزن بصمت خانق ، وكبرياء جريح ، مثلما اعرف ان اضم في نفسي هذيان الفرح الطفولي الذي تنسمت عطره ، منذ عرفتك ، وانسكبت نفسك في اعماق نفسي !

على انني اعترف لك بما اخذته عنك من آيات السماح ، فلا اراني انسى ، كما نسيت ، ان كل اشذاء الربيع تتقطر مرة واحدة ، فيتنفسها الوجود حياة لا تبلى ، يوم ينبعث نيسان ، كل عام ، فترتسم على شفة الشمس بسمة شعاع يظهر مرة كل عام ، ويأتلق فوق جبين البدر ضوء سحر فريد الرقة والدلال .

ولقد تخرس كل آلاتنا السوداء ، بعد اليوم ، الا ان حديثك الحلو في البال ، يطوق بي الى الابد ، وان حبك يملأ ذاتي ، فلا ارى وراءك حسنا يرام ، ولا المح بعدك هوى يستطاب !

فتحية اليك ووداعا ، والى لقاء اذا اذن الزمان ، بعد ، بلقاء !!

اعيد اليك الحرية

ساعة مالت الشمس الى المغيب ، وتقطعت انفاس اشعتها الاخيرة ، تألقت هناك ، قبالة المطرح المؤتلق الذي ضمت رحابه انفاسنا العاشقة الولهى ، فكأنك اليمامة البيضاء المرفرفة على الكون من حولها بأجنحة النور والحب والعطاء النبيل ، او كأنك شعاع يضيء العين والروح والقلب ، فيستغني المحب بك عن شمس الاصيل الغاربة ، على وعد بشروق جديد ، في يوم جديد !

لكن اهتماماتك الكثيرة التي كنت توزعينها هنا وهناك ، وتركزينها قصدا او بلا قصد ، على بعض من كانت تنتابني الظنون حولهم ، قبل ان اعرف عنهم خبرا يقينا ، جعلتني احس بما رفضت ان احس به ، قبل الآن ، من الغيرة التي اراها في الآخرين صدى لضعف اجل نفسي عنه ، والتي اعرفها في كياني صدى لحبي الكبير الكبير !

ولحظة تذكرت انني هناك ، في الجمع الكثير ، وسألتني ان اقول كلمة كان لا بد ان تتسق مع المناسبة التي هيأتها بنفسك ، حسبتني امازحك اذ المحت الى بعض تلك الغيرة التي لا احبها لنفسي !

ومنذ تلك اللحظة القاسية حقا ، رأيت ان احررك من قيودي ، وان اعيد اليك الحرية التي سلبك اياها حبنا الصافي النضير !

فاعذريني ان رحلت عنك ، ملء خاطري ، لئلا ارى نفسي ، ذات يوم ، مرحلا عنك ، رغم ما كان لنا من العهد الوثيق الحبيب !

انت يد السماحة

افكر الهنيهة ، ان في الدنيا اصواتا ملحنة بغير نوتة موسيقية ، لان اصداء صوتك المنغوم ما زالت تبحر في نفسي ، وتحملني الى حيث انت ، على جناح الحلم الرقيق العبقري !

منذ لحظات كنت معي ، تسكرين الاثير كما اسكرتني بطيبة الصوت والعاطفة والحديث الشهي الحميم !

ولكنت ، لو لم استعد انفاسي التائهة مني طوال النهار ، كتبت اليك كما لا اشتهي ، وكما لا تشتهين !

كنت ، لولا هذا اللقاء الاثيري ، طلبت اليك ان نغلق كتابنا ، وان تعودي الى رحابك التي مارست فيها مثل التعبد لجمالك الشاعري ، فلا اسمع صوتك ، ولا تسمعين همسي الواله المحموم ، ونفترق على اتفاق بأننا ما تعارفنا قبل اليوم !

لكنك دائما تصلين في الوقت المناسب ، مثلما وصلت اول مرة ، وانا في ازمة الفراغ الكبير !

وكلما خطوت في دنياي ، خلعت من سحرك ورقتك معاطف الامل المخضوضر ، فاذا الربيع في عمري ، مواسم لا تنتهي ، واذا انت يد السماحة والندى ، في عالم اضاع القيم ، وشوه براءة الطفولة في ضمير الانسان .

كان المدى ملعبا لمشاغلي

بعض النـــاس تتسع آفـاق اهتماماتهم ، فيضيعون في المتاهات ويضيعون انفسهم ،

لكن من اتسعت آفاقه ، فضيق على نفسه آفاق اهتماماته ، طائعا ، راضيا ، مختارا ، فذاك هو الشمولي القدير الذي يعثر على ذاته ، في خضم المتاهات البعيدة الامداء !

ويوم عرفتك ،

كان المدى كله ملعبا لمشاغلي ، وكان لي في كل مجال جولة ، وفي كل ميدان صولة ، حتى لكنت احسبني احطت بالدنيا جميعا ، فما ان التقيتك

ونهلت من معين نفسك ،

ورغدت وجداني بعبير وجدانك ،

ونقلتك الى رفة اهدابي ، وخفقان قلبي ، والى كيان ذاتي ، فمزجتك في انفاسي ، وعجنتك في دمائي ، حتى عرفت اي سراب كنت الاحق فيما مضى ، فلا اعثر على غير الظمأ والوهم والخيال !

وها انذا كل يوم ادرك فيك عروس الفكر والعقل والدلال واريدك الى جانبي ،

تنثرين في دروبي اريج الزنابق ،

وتخلعين على وجودي مطارف الحب والحياة !

انا اولى بتقديم الاعتذار

الا ما انبل الروح في كيانك الطاهر ، وما اصفى وجدانك المرشوش بالعطر ، والسحر ، والبهاء !

تنفعلين ، اذ احرج كبرياءك التي احب ، ثم تعتذرين ، وانا اولى بتقديم الاعتذار !

واي انفعال ، واي اعتذار ، هذان المتخليان عن حقك في الشموخ ، المسلسان للحبيب قيـــاد العاطفة الموجعة !

ولولا صفاء وجدانك ، لما برح بك انفعال ،

ولولا نبل روحك ، لما اندفعت بغير حق الى الاعتذار !

ويا حبيبتي !

احب ما فيك انك رقيقة على شموخ ، شامخة على رقة ، فلا تؤلمي وجداني باعتذار ، بعد اليوم !

ان حبي لك يشفع بكل ثورة ، ووفائي لعاطفتك يبدد كل جفوة !

وها صدري مباح لراسك المتعب ، وهـــا زنداي حانيتان على جسدك الواله ، وها قلبي ، مشرعة لك ابوابه !

واعذريني ان قارنت بعد هذا بين ما صنعت بك وما صنعت بي !

كنت ، من حيث لا اريد ، احرج فأجرح وجدانك !

وكنت ، من حيث تريدين ، تعدين لي مفاجأة ، كأنما ما اكتفيت بعد ، من عطاياك ، فجئتني بهدية جديدة ، ظلمتك ، اذ انكرت مصدرها !!

كيان التواضع والكبرياء

وما زلت اكتم عنك بعض ما في نفسي من حطام متناثر ، ومن ميزة مقلقة ، وهوى اوجعته من حيث لا تشعرين !

ولا ادري كيف خلق الله المكابرة ، فيما خلق ، وحباني منها قسطا لو وزعت منه على الناس اجزاء واجزاء ، لبقي عندي المزيد من الوانها !

ثم لا ادري كيف بث الزمان في نفسي الكبرياء ، وانا اعلم الناس بما في كياني من تواضع ، فاذا انا متناقض ، متألم لهذا التناقض ، لا اعرف في القسوة علـــى نفسي حدودا ، ولا اعرف في احترام نفسي ، بين الناس ، حدودا !

وانا على ثقة بأن اعظم عالم نفسي ، لو حاول ان يحلل ما انا عليه من تناقض المكابرة ، والكبرياء ، والتواضع معا ، لما استطاع ان يجد تفسيرا لهذه الظاهرة النفسية التي ما جردتني من بساطة يحبها بعض الناس ، بينما هي تخيف الآخرين .

فهل تراك اكتشفت اغوار ذاتي ، وعرفتني اكثر مما عرفت نفسي ، حتى وجدتني استحق ما رسمت في خاطري من علامات الاستفهام والتعجب ، وما بثثته من حيرة يتردد صداها في كل همسة تقول بالرغبة في الانسحاب من موكب ميمون ، نحن رسمنا خطاه ، وزيناه بالازاهير ، واخذنا نفسينا به ، بارادة كتبتها يد السماء والارض !

عدت اخاطبك كما تحبين

... ولعلي ، بما قرات لي ، آذيت وجدانك ، واثرت اشجانك ، وذكرتك بعض آلامك الماضيات ، ثم زدتك آلاما اذ كشفت لك عن جانب آخر من جوانب نفسي ، فعرفت انني ، في موضع الانفعال ، استطيع ان اكون حزينا بهدوء ، وان اخلع كل تناقضات الكبرياء والمكابرة والتواضع ، فأحكي حكاية حبي ، وابث آهاتي الموجعات ، واكشف عن حطام نفسي ، ببساطة مذهلة محزنة !

لكن ارتعاشات الضوء في اهدابك الذابلة ،

وصراخ اللؤلؤ المكبوت في عينيك الساحرتين ،

وانفجار الآهة في ثغرك الصامت بألم ،

كل ذلك عرفني من جديد بأن اميرة الحب والشعر والسحر لا ترتكب جريمة ان هي رشت على مسمع الحبيب

بعض التساؤلات وهي ان ذكرت وذكرت ، وآلمت وتألمت ، فلأنها تحن ابدا الى الانسان فيها ، يمزج ما فيه من الضعف والقوة ، والخوف والجرأة ، والرغبة والرهبة ، في آن معا .

ويا حبيبتي !

عدت اخاطبك كما تحبين . فان كنت شوشتك بضباب وجداني ، فلأجل الا احمل نفسي على الانسحاب من حياة انسانة اخاف ان اكون مسست كبرياءها بأذى .

وما اروعنا معا ، نلوح بالانسحاب ، ونحن في كل يوم نبدأ حبنا من جديد !

نرى الحقيقة التي لا يرون

الحق اقول لك : اننا وحدنا الانقياء الاصفياء !

ولو علم الناس مدى ما بيننا من الهوى العاصف الذي يريحنا ويسعدنا ، ولا يتعب غيرنا ولا يشقيه ، على حد تعبيرك وتعبيري ، لأدركوا ان كل فلسفاتهم وسفسطاتهم وانظمتهم ومؤسساتهم الاجتماعية تقف وقفة العاجز امام الشمول الانساني الذي به اطللنا على الدنيا ، حبا ، واحتراما ، وحكاية من شموخ !

نحن ، يا حبيبتي ، لا نسعى لغير اسعاد البشر ، لكننا نرفض السعادة لاي كان حتى لنا نحن ، ان هي قامت على اشلاء شقائنا .

ان فاقد الشيء لا يعطيه !

وما لم نعرف ، كلانا ، كيف نجسد السعادة في هذا اللقاء الانساني العظيم المنفتح على عالم من الخلود ، فعبثا ندعي القدرة على اسعاد من حولنا ، قربوا منا ام بعدوا عنا .

ولقد يرى الناس ، فيما بيننا ، رفضا لمقاييسهم ، وتحللا من اثقال تنوء على كل منا ، وتكاد ترديه .

وما همنا مما يراه الناس ، ما دمنا نرى الحقيقة التي لا يرون ، ونؤمن بالحب الذي ينكرون ، ونحمل لهم خيرا لم يقرأوا حرفا واحدا من حروفه !

اتقي الله في نفسك

واكمل حديثنا بالامس ، فأذكر لك قول المعلم السيد : « ماذا ينفع الانسان اذا ربح العالم وخسر نفسه » ؟

ذلك القول المقدس ، لعالم الروح قيل ، وقيل ايضا لعالم الجسد . لهذا ، دعوتك من قبل ، وادعوك اليوم وكل يوم ، الى ضرب جديد من ضروب البطولة والتغلب على الذات ، بالتغلب على خرافات حفظناها ، ثم حسبناها حقائق لا ريب فيها ولا مظنة !

ان هذا المجتمع الكاذب اللئيم يرفض السعيد الناجح المتفوق ، ويفرح بالشقي الفاشل السائر في مؤخرة الصفوف ، وذلك نوع من السادية المجرمة التي يفرح اصحابها بعذاب الآخرين ، وبالتالي يتعذبون ان هم لمحوا الفرح في عيون سواهم .

هذه تجربتي ، وهذا يقيني .. اصارحك به لا متحاملا ، ولا متجنيا . وهو يقين استقر في قناعتي من خلال تجربتي مع اقرب الناس الي !

وهبتهم كل شيء . كل شيء ، صدقيني . وما طلبت منهم شيئا . لكنهم يوم ان شاؤوا الاعتراف بالجميل ، ردوا هباتي لهم حسدا ، وبعض حقد ، وعادوا يسألون المزيد .

فاتقي الله في نفسك ، ولا تسألي عن خرافات الناس ، لقد اتقيت الله في نفسي !

كنت ، وتبقين ملهمتي

برح بي ما في كلماتك الدافئة الجريحة من الحنين ، وادمى حنايا نفسي ما تخللها من انين .

ولو قلت : ان ما بك هو بعض قليل مما بي ، لما افصحت عن كل ما في اعماق وجداني الجريح .

وما انا ههنا لأرضي غرورك ، او لأعلمك بما انا فيه من شوق مبرح لا يعرفه احد سواك .

ولو كنت معي ، اذ حملوا الي كلماتك في آخر الليل ، وقد انهكني التعب ، لذبت كما ذبت وجدا وحنانا اليك ، ولعرفت معنى ان تتقطر ادمع الوالهين فوق سطور الرسائل المسافرة من بلاد الاحبة ، بعد اذ يتلونها مرارا ، فلا تضارعها حتى مزامير داود .

ولئن غفرت لك كل ما في كلماتك من انفعال اقدر دوافعه ، تقديري للبوة الجريحة ، وقد ابى عليها شموخها ان تشرق بالدمع والآه الذبيح ، فلا ادري كيف اغفر لك او كيف تغفرين لنفسك انك تصرين على مخاطبة حبيبك ، وشاعرك وصديقك ، وحارس طريقك بلقبه ، متخلية ، لاول مرة في حياتك ، عن مناداته باسمه ، وانت ادرى الناس بمدى سخريته بكل القاب العالم ، وتبرمه بتفاهات البشر ، فاذا احرز لقبا علميا ، فلكي يكسب جواز سفر الى عالم اللقمة المغموسة بالعرق والدم والدموع ، لا لكي يخاطبه به اقرب الناس الى قلبه .

ولقد اسخر بنفسي ، بل بنا معا ، فأرى من حقي ، والحال هذه الحال ، ان اطالبك بتعويض عن استعمالك اللقب بصيغة المفرد لا الجمع ، ما دمت تعرفين انني املك غير لقب واحد !!

احب ما احبه في نفسي ، رغم كل شيء ، انني وانا الغارق في آلام عمري ، لا اتخلى عن البسمة المغرورة ، اتداوى بها ، لايماني بأن التشكي يحزن الاحباء ، ويشمت الكارهين .

واما البسمة ، فحسبها انها تصون على المرء ماء وجهه ، فلا يواجه الناس ببشاعة الاحزان والاشجان ، بل يوهمهم وهو يتمزق ، ان كل سعادة الارض ملك يديه وطوع بنانه .

ولكـن !

احقا ، حقا ما تقولين ، انه لم يعد يهمك ان كان ما يزال عندي بعض من الحب الذي كان ؟!

احقا تعفينني من مشقة المحاولة والتكلف ؟

احقا وقفت وقفة الحاكم على طلل الود الجريح ، آخذا بأقوال شاهد الزور ، دون ما اعتبار للقرائن او لمنطق العدالة ؟

احقا تكرهينني ، حتى لـو صح اني اتكلف الحب والحنين ، بعد كل مـا كان من جراحاتي التي رضيت بسببها ، بسببها وحدها ، ان أتيه في اربع جهات الارض ، باحثا عن النسيان الذي اتعبني قدر ما جريت وراءه ، جري الظامىء وراء السراب البعيد ؟

لا بأس . لا بأس . ربما لم تقدري ، بعد ، معنى ان يتيه رجل كل هذا التيه ، وهو لـو ملكوه كل كنوز الارض ، لما اغنته كنوز الارض عن رؤية ذرة تراب في بـلاده .

رضيت كل معاناة انسانية ووطنية وعائلية ، لكي اوهم الناس من حولي انني اسعى الى فتوحات وامجاد علمية تتجاوز الحدود والاقاليم ، وحسبت بذلـك انني انسى ، او انني اجد بعدك الملاذ البديل ، لان كبريائي ــ وهي بعد كل شيء ربيبة كبريائك ــ أبت علي ان ارى نفسي في مقام الغباء ، فكيف ان رأيتها في مقام كالذي سفك دم الود بيننا ، بغير رأفة او حنان ؟!

هل تعرفين معنى ان اكتب اليك ، يوم ثنيت بزيارة « بروتوكولية » ــ كما اسميتها لك ــ ويوم عدت اياما الى وطني ، وبي من الحنين فوق ما يبلغه خيال الحالمين ؟!

هل تعرفين معنى ان اجدك ، من دون كل الناس ، آخر ملجأ لي منك ، فأعتب واغضب ، وارق واصعب ، واكاد ــ وانا اسبغ عليك كل مدائح الزمان ــ ان اقول فيك فوق ما قاله مالك في الخمرة ؟!

ان كنت لا تعرفين معنى كل هذا التصرف ، فقـد اصبحنا اثنين لا يعرفان .. وتلك كبرى مآسي حبنا ، اننا بعد ان ذبنا في عناق الوحدانية الموصول ، عدنا نتيه في الاثنينية الجارحة لكل تذكار تسربت منه الى قلوبنا اصداء العبـير !

وبنبل روحك الغالية ، استحلفك لا تجرحي كبريائي ، بل ما تبقى من اشلاء تلك الكبرياء !

لا تقولي لي : ان حكاية الود الذبيح كانت حكاية وهم من اولها الى آخرها !

قولي لي ، ان شئت : ان الزنبقة الناصعة الطهور لم يستطع دبابير الزمان ان يدنسوها ، فقد كادت وزوزاتهم تخدعني ، وكدت احسبها ، كصوتك الحنون ، تراجيع صلاة ، واغاريد اطيار والهة .

اصري ، ولو ارضاء لكبريائي ، على ان رحيق زهرك كان وسيبقى ، رغم كل شيء ، رغم كل شيء ، وقفا على رشفاتي الوالهات !

قولي لي : ان حبك العظيم قد ملأ علي وجودي ، واغناني عن كل من وما عداك ، فأنت حبيبي ، وانت صديقي ، وانت بهجة عمري الآتي في دروب الحياة !

والا ، فقولي لي : انتقم منك . اوهمك ان لي حبيبا سواك ، لانك آذيتني ، ذات يوم ، اذ توهمت ، كما تتوهم الآن ، انك تسعى الى حبيبة اخرى ، او ان لك حبيبة ســواي .

قولي لي : اطلقت سراحك . مللتك . صرت من بعض اشيائي القديمة . احلتك الى متحف الذكريات ، لان تغريدك في قفصي لم يعد يشجيني .

قولي لي ، ان كنت استحق : طردتك من هيكلي ، لانك دنست اقدس مقدساتي ، وحاولت كالفريسيين ان تجعله سوقا لباعة الحمام ، ومغارة للصوص ، بعد ان كنا نمارس فيه معـا مثل صلاة مشرقية ، نذوب في افيائها بالروح والجسد .

اترين اين قادنا الزمان ؟

اصبحت أدعي تعليمك ، وانت كنت وتبقين معلمتي وملهمتي ارق ما كتبت !

لكن اعظم ذنوبك عندي ، انك اتخذت من دوني قرارا كان حقي ان اشارك في مناقشته ، وفي رفضه او في اقراره .

افيكون من شأنك وحدك ان تمنحيني كل شيء ، وان تمنعيني كل شيء ؟ ليتك اذن لا منحت ولا منعت ، ولا اورثت نفسي كل هذا التمزق الوجداني الرهيب الذي عانيت منه ، واعرف انك كنت شريكتي فيه ، طوال عامين .

اهكذا تنصبين نفسك قاضيا ومدعيا عاما ومتهما ومتهما وتضربين عرض الحائط بأصول المحاكمات ، ثـم تصدرين الحكم بالاعدام على حب ، يموت كل حب عداه ، ولا يموت ؟!

فلئن كنت لا اجد لـك ادنى عذر في ذلك الموقف الضعيف المستبد ، فلعل من اسبابه المخففة انك تصرفت كقادة الانقلابات العسكرية الذين لم يدخلوا يوما الى محراب كلية الحقوق ، لكي يتعلموا فيها ما لهم وما عليهم ، سواء بســواء .

ورغـم كرهي لـك ، حتى العبادة ، لا اراني الا مستخلصا لك من قلبي صكوك البراءة والغفران .

مدرب الحمام

في مدينة دمشق فئة من الهواة تقوم بتدريب أسراب الحمام على الطيران ، ويطلق على الفرد منهم ، اسم كشاش الحمام ، فكنت ترى اسراب الحمام تجوب اجواز الفضاء ثم تعود الى مدربها .

أطل مع الصبح من شاهق ... كما ضرب الأسر في حالق
يحلق في الافق مستطلعا ... ويمعن في شفف الوامق
فتعدو المطامع من مقلتيه ... كأنهما مقلتا باشق
تراه تطاول مستشرفا ... يراعي الثواقب كالعاشق
يقلب عينا زكت نارها ... كما زكت النار من شارق
كأن له نسبا في السماء ... فحن الى النسب اللاصق
وما انفك يرقب كالمشيب ... توخى الضيعة من رازق

يمد يدي واله عاشق ... ولم يك بالواله العاشق
ويومي الى الغيب كالمستغيث ... اذا ما تضرع للخالق
يصفق حينا كمستبشر ... وحينا يزمجر كالناعق
يشير الى سربه زاجرا ... وينهي بأمر فتى حاذق
فتجري الحمائم رهن المشير ... وتخنع للسائس السائق
تؤدي بلا ملل ما وعت ... من القول في حنكة الواثق
وتفهم بالحدس ما يبتغي ... ولم تك بالعاقل الناطق

ترامت حمائم في شاسع ... تحلق كالعلم الخافق
تجوب رحاب فضاء بعيد ... وتصخب في جنق الحانق
فضاء تنزه عن خسة ... وعن درن بالثرى عالق
وتضرب مسرعة بالجناح ... حثيثا وتعنق كآبق
ترود فضاء طهور الاديم ... وتبعد عن عالم فاسق
هي الارض مهد الاذى والشقاء ... وميدان كل فتى مارق
ويؤثرها بالهوى قلبنا ... على ما بها من أذى ماحق

دمشق

عدنان مردم بك

وحسبي ان التاريخ الادبي المعاصر سوف يظلمك اشد الظلم ، جزاء ما ظلمت حبنا ، ايتها القاسية .. ايتها القاسية بمقدار ما كنت لي ، وتبقين لي ، حلوتي الرقيقة الساحرة .

ولسوف يتحدث النقاد والدارسون والباحثون عن شعر يذوب رقة وحنينا ، خطته هذه اليراعة المشبوبة ، فيقرأون التوقيع من دون العنوان ، فينصفونني ويظلمونك ، ويخلدون اسمي ، وينسون اسمك الذي به يفتتح الشعر ، وبه يختتم ، فهو عطر البداية ، وهو مسك الختام ، وهو الصلاة المشرقية التي تلوتها معك ، وتلوتها بدونك ، فما زادتني الا تشبثا بك ، وايمانا بحبك الذي لا يضيع .

يا حياتي ومليكتي انت ، وكل ما كان وما سيكون لي من مجد فوق هذه الارض !

من غربتي ، في هذه الجزيرة المغتسلة ابدا بلهيب الشمس ، ومن شطها الخليجي المؤتزر بواحات النخيل ، ابوح باسمك ، فسلام عليك !

اكتب من هنا الى اهداب عينيك الساحرتين ! اما يزال رفين اهدابك النشوى يداعب عينيك الساحرتين ، يوم كانتا تفيقان وتغفوان على صورتي .

واحن ، من هنا ، الى همسك الحريري السماوي ! اما يزال همسك الحريري مشتاقا الى بوحي وحبي ، يا كل بوحي وحبي !

اوحشتني ، يا قاسية . احبك « نتفة » حب ، لا تطمعي . فاني ما زلت اتداوى منك بك .

اضمك الي . اقبلك ، اقبلك ولا ارتوي . لكنني ، مهما فعلت ، سأظل اكرهك حتى العبادة !

فوزي عطوي



محمد العدناني

عثرات الادباء

بقلم محمد العدناني

* * *

جرع الماء وجرعه

ويخطىء الاصمعي من يقول جرعت (بفتح الراء) الماء ، ويقول ان الصواب هو : جرعت (بكسر الراء) الماء . ولكن الفعلين صحيحان ، وممن ذكر جرع (بكسر الراء) الماء ايضا : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والحراني عن ابن السكيت ، والازهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وممن ذكر جرع (بفتح الراء) الماء : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وفعله : جرعه (بفتح الراء وكسرها) يجرعه (بفتحها) جرعا (بفتح فسكون) وجرعا (بفتح ففتح) .

وانا أوثر : جرع (بفتح الراء) الماء ، لان العرب جميعا ، ادباءهم وعامتهم — كما ارجح — يستعملون الفعل جرع (بفتح الراء) ، ولم اسمع جرع (بكسر الراء) خلال عمري الطويل الا نادرا جدا .

الجاريـــة

يقول الجواليقي في « تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة » : الجارية هي الفتية من النساء ، وليست الامة (بفتح ففتح) ، واستشهد بقول امرأة ترقص بنتا لها :

ومـا علـي ان تكون جاريه حتـى اذا مـا بلغت ثمانيه
زوجتهـا عتبـة او معاويـه أختان صـدق ومهور عاليـه

اختان (بفتح الهمزة والنون) . وايده في رأيه هذا محمد علي النجار في « الاخطاء اللغوية الشائعة » .

والحقيقة هي ان معنى الجارية هو :

(أ) الفتية مـــن النساء : المغـرب ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (مجاز) .

(ب) الامة وان كانت عجوزا : الاساس (لم يحدد لها سنا) ، والمغرب ، والمصباح ، والمد ، ومحيط المحيط (على ان لا تكون عجوزا) ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن (مجاز) ، والوسيط .

ومما جاء في المصباح : « قيل للامة (بفتح ففتح) جارية على التشبيه ، لجريها مستسخرة في اشغال مواليها . والاصل فيها الشابة لخفتها ، ثم توسعوا حتى سموا كل امة جارية ، وان كانت عجوزا لا تقدر على السعي تسمية بما كانت عليه » .

وتجمع الجارية على جاريات وجوار .

الجزائـــر

ويعثر محيط المحيط حين يجمع الجزيرة على جزر (بضم فضم) ، فيعثر اقرب الموارد مثله (كعادته) . ويخيل الي ان الوسيط نقل عنهما هذا الجمع ، فعثر مثلهما ، لانني لم اجد هذا الجمع في المعجمات التي لدي ، وهي تكتفي بجمع الجزيرة على جزائر : الصحاح ، ومجاز الاساس ، والمغرب ، والمختار ، واللسان ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن .

ويعثر محيط المحيط واقرب الموارد مرة اخرى ، حين يجمعان الجزيرة على جزر (بضم فسكون) ايضا .

اما الجزر (بضم فضم) فهي جمع الجزور (بفتح فضم) كما يقول الصحاح ، والاساس ، والمختار ،

واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما معنى الجزور (بفتح فضم) فهو الجمل المذبوح ، او المعد للذبح ، ويقع على المذكر والمؤنث . واذا افردت الجزور انثت . وتجمع على جزر (بضم فضم) وجزائر . وتجمع الجزر (بضم فضم) على جزرات (بضم فضم) ، مثل طرق وطرقات .

الجزة (بكسر فتضعيف) ، الجزيزة (بفتح فكسر)

ويطلقون على صوف شاة في سنة اسم الجزة (بفتح فتضعيف) ، والصواب هو الجزة (بكسر فتضعيف) ، كما يقول اللحياني ، وابو حاتم السجستاني ، والتهذيب ، ولحن العوام لمحمد الزبيدي ، والصحاح ، والاساس ، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويجمع بعض هؤلاء الجزة (بكسر فتضعيف) على : جزز (بكسر ففتح) وجزائز .

وذكر محمد الزبيدي ان الجزيزة (بفتح فكسر) تعني : خصلة من صوف مصبوغة ، يزين بها الهودج ، كما يقول الصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وتجمع الجزيزة على جزائز .

جزاه على احسانه واساءته ، وجازاه عليهما

اختلفوا في استعمال الفعل (جزى) ، وهل نقول : جزاه باحسانه ، أم جزاه باساءته ؟ فالذين يقصرون استعمال الفعل (جزى) على الخير ، يعتمدون على الفراء ، وعلى المصباح الذي قال : جزاه الله خيرا : قضاه له ، وأثابه عليه . ولكن :

ذكر الفعل جزى في القرآن الكريم ٧٢ مرة : ٣٠ منها جزاء على الاحسان ، و ٢٩ على الاساءة ، و ١٣ على كليهما . فمن قوله تعالى في الاحسان ما جاء في الآية ١٢ من سورة الانسان . ومن قوله في العقاب ما جاء في الآية ٤١ من سورة الاعراف . ومن قوله تعالى في الاحسان والاساءة كليهما ما جاء في الآية ١٥ من سورة (طه) .

وجاء في معجم الفاظ القرآن الكريم : جزاه بعمله او على عمله يجزيه جزاء : قابله بما يكافئه . ويستعمل في الخير والشر . ويؤيد قول معجم الفاظ القرآن الكريم ابو الهيثم العباس بن محمد ، والتهذيب ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، واللسان ، والتاج ، والمد ، واقرب الموارد ، والمتن .

ومما قاله ابو الهيثم : الجزاء يكون ثوابا ويكون عقابا ، وقال الراغب : جزيته كذا بكذا . وقال التاج : جزاه كذا ، وبه ، وعليه . وقال الوسيط : جزاه : كافأه ، وكافأه عنده للخير والشر .

واختلفوا في معنى الفعل (جازى) ، فالقرآن الكريم يستعمله في العقاب مرة واحدة في الآية ١٧ من سورة سبأ ، والمصباح المنير يقول : جازيته بذنبه : عاقبته عليه .

اما الراغب في مفرداته ، والزمخشري في اساسه فيستعملانه في الخير . قال الراغب : المجازاة هي المكافأة ، وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين ، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها . وقال الاساس : احسن اليه فجزاه خيرا : اذا دعا له بالمجازاة .

ولكن : يستعمل الفعل (جازى) للخير والشر كليهما كل من : الفراء ، والتهذيب ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

لقد ذكر المختار الجزاء في مادة « ثوب » . وقال محيط المحيط واقرب الموارد ان الفعل (جازى) هو اكثر استعمالا في الشر .

تحدثت الى جعفر

ويقولون : تحدثت الى جعفر (بفتح الراء) ، ظانين ان اسم (جعفر) اعجمي (فارسي) ، فممنوعه من الصرف للعلمية والعجمة . والحقيقة هي ان (جعفرا) اسم عربي قديم منصرف . وجعفر بن كلاب ابو قبيلة من عامر .

والجعفر : النهر عامة (حكاه ابن جني) ، وقيل الجعفر : النهر الملآن ، وبه شبهت الناقة الغزيرة اللبن مجازا ، كما يقول التاج .

وقال ابن الاعرابي : الجعفر : النهر الصغير فوق الجدول ، وعليه اقتصر الصحاح . وقيل انه النهر الكبير الواسع ، وبه سمي الرجل كما يقول اللسان . لذا قل : (أ) تحدثت الى جعفر (بكسرتين) . (ب) رأيت جعفرا .

الرداء (السترة) لا الجاكيت

ويطلقون على الثوب الخارجي ، يستر الجزء الاعلى من الجسم ، اسم الجاكيت ، وهو الاسم المعرب عن اللغة الفرنسية القديمة .

ويتطرف آخرون ، فيقولون ان اصل كلمة الجاكيت هو عربي ، مأخوذ من الشكة (بكسر الشين المضعفة

وتضعيف الكاف) العربية ، وهي السلاح او ما يلبس فوق السلاح . ثم توسع في استعمالها ، الى ان هاجرت الى فرنسا حاملة اسم جاكيت .

وهم مخطئون ، لان المعجمات الانكليزية الكبيرة تقول ان اصل الكلمة الانكليزية Jacket هو فرنسي . وهذا لا يضير اللغة العربية ، لان المعجمات نفسها ترينا ان فيها نحو ٤٠٠ كلمة انكليزية ، اصلها عربي .

وهنالك كلمات عربية كثيرة ، يمكنها ان تحل محل كلمة الجاكيت الفرنسية ، هي : الرداء ، او السترة (بضم السين) ، او القباء (بفتح القاف) ، او المدرعة (بضم الميم وتضعيف الراء المضمومة) ، او الدراعة (بفتح الدال) ، او الجمازة (بفتح فتضعيف) ، او الفروج (بفتح فتضعيف) ، او الظهرية (بفتح الظاء وتضعيف الياء) .

وربما كانت كلمتا الرداء والسترة خيرها . فالرداء ، كما يقول المعجم الوسيط هو : الثوب يستر الجزء الاعلى من الجسم فوق الازار . اما السترة فارجع الى ما كتبته عنها في « معجم الاخطاء الشائعة » .

وجاء في المجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي اقرتها لجنة الفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته الثالثة ، بتاريخ ١٧ شباط ١٩٧١ ، في المادة رقم ٣٢ ، ان المؤتمر اطلق على تلك الحلة اسم : السترة .

اما الحلة التي تغطي جذع الرجل ، وتصل الى ركبتيه ، او ادنى منهما ، وتلبس شتاء وقاية للجسم من البرد ، فقد ذكر المعجم الوسيط انها تسمى العطاف (بكسر اوله) ، وقال انها كلمة مولدة ، تجمع على عطف (بضم فضم) واعطفة . وتسمى ايضا المعطف (بكسر الميم وفتح الطاء) ، ويجمع على معاطف .

المجلد والمجلدة

ويخطئون من يسمي الكتاب الملبس جلدا : مجلدة (بلام مضعفة مفتوحة) ، ويقولون ان الصواب هو : المجلد ، كما يسميه المغرب ، والمد ، ومحيط المحيط ، والمتن .

وجاء في الاساس : جلد الكتاب : البسه الجلد . فاسم المفعول منه يجب ان يكون مجلدا .

ولما كان المجلد (بكسر اللام المضعفة) هو الذي يجلد الكتب ، كما يقول القاموس ، والتاج ، واقرب الموارد (في الذيل) ، فالكتاب الذي يجلده يسمى مجلدا (بفتح اللام) .

ولكن :

يستعمل مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمه « الوسيط » كلتا الكلمتين : المجلد والمجلدة . فاذا عنت الاولى الكتاب المجلد ، فان الثانية تعني : الاوراق ، او الكراسات ، او اضمامات الورق المجلدة .

وأنا ارى ان (المجلد) اعلى ، لانه اكثر استعمالا ، واقل حروفا ، ولانه مذكر كالكتاب (ينعت المذكر المحذوف بنعت مذكر مثله) ، ولان المذكر — ويا للاسف — اقوى من المؤنث في اللغة العربية . وهذا حملني على تأليف كتاب في ظلم « الضاد » لحواء ، دفاعا عنها .

ويجمعون المجلد والمجلدة على : مجلدات .

قوم العصا لا جلسها

يقول محيط المحيط : جلس (بتضعيف اللام المفتوحة) العصا . والفعل (جلس) هنا عامي . والصواب قوم (بفتح فتضعيف) العصا ، اي : جعلها تستقيم وتعتدل . ولم اعثر على الفعل (جلس) في اي معجم آخر .

ومعجم « اقرب الموارد » ، الذي كان في معظم الاحيان ينقل عن محيط المحيط ، فيخطىء مثله عندما يخطىء ، ويصيب مثله عندما يصيب ، احجم عن نقل الفعل (جلس) عنه . ولا ادري من اين جاءنا به صاحب محيط المحيط .

جلعت فلانة وجلعت

اذا تركت فتاة الحياء ، وتكلمت بالقبيح ، تقول العامة : جلعت (بفتح فكسر) فلانة ، فيظنون ان هذه الكلمة عامية ، مع انها فصيحة كما يقول الاصمعي ، والتهذيب ، والصحاح ، والعباب ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : يقال للمراة القليلة الحياء جلعة (بفتح فكسر) ، كأنها كشفت قناع الحياء .

ويجوز ان نقول ايضا : جلع (بفتح ففتح) فلان ثوب الحياء ، كما يقول الاصمعي ، والصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وذيل اقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما فعله فهو : جلع يجلع (بفتح اللام فيهما) جلوعا ، وجلع (بكسر اللام) يجلع (بفتحها) جلعا (بفتح فسكون) وجلاعة .

جلولي لا جلولائي

جلولاء (بفتح فضم) ناحية من نواحي السواد في طريق خراسان . وجلولاء ايضا مدينة مشهورة بافريقية ، بينها وبين القيروان ٢٤ ميلا . ويقولون في النسبة اليها : جلولائي . والصواب : جلولي (بفتح فضم) ، وهي نسبة شاذة ، غير قياسية ، كما قال ابن مالك في الفيته وغيره .

محمد العدناني

بيروت : شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

النار.. تعزف فوق صليب اخضر

*

تتمطى فوق المرآة الكونيه
أطياف ضباب
أنفاس جراح أسطوريه
تبعث من منفى الازمان

نخرج من شرنقة الحلم
تستيقظ عبر مسار الرؤية دوامات النور
نتسلق أوتار القيثار المخمور
يتخللنا همس فراشات رطبه
« الضوء مسافر »

يتوهج مرج شفقي
نقطف عنقود الكرز المشقوق
فيسيل عصير الرحم التواق
نتمطى
فتلوح غابات طافية سكرى
« الشفق الهمجي مهاجر »

تحملنا أفراس الموج الهمجية
فنصوب دائرة الحدقه
نتسلل عبر شرايين الارض السريه
يلمحنا القمر القاني
نتدلى من زهرة صبار قلقه
نقرأ ايماءته ..
« موج مغترب في صدر قيثار »

نتدحرج فوق جبال الليل
نتعثر في النجمات
يجرفنا السيل
تلطمنا أجنحة النسمات
تتكسر فينا
تمتد الايدي عبر الدوامات
يجرفنا السيل ، كرمال عذراء
نمضي
نتسلق فوق أناملنا أشلاء أدونيس
ولآلىء أعين فينوس
صهرت في بدء التكوين
نفتح ثغر محارتنا
نحسو أغنية القنديل
الهارب من ضوء القمر المضني
يجرفنا السيل
نلمس بالضلع المصهور الزهر الناعس

فيموت بغير بكاء
تلسعنا نحله
فيغادر شدقيها خيط شفقي يتقطر
آه لو يتكسر جبل الرعد الرابض
في مسرى الدم المتواعد
نقطف من زهر النرجس
سرب الموسيقى المتصاعد
نجدل قوس قزح عشا لعصافير تولد
نقرأ في صحف الوجد السحرية
عن شمع طواف تحت الموج
وجبال النيران الثلجية
وشموس حبلى من وهج الليل

آه .. النزف يمر
سكين يحفر قبله
ويصارعني الذئب الوهم
وقميصي بستان الدم
لو نقرأ ما في النجم
أو نسمع شعر اللؤلؤ في الغيم
فسنعرف جرح الراعي
المعصوب بأحبال المنفى
فيه أنين الدلفى وصراخ الحلم

يجرفنا السيل
في نفق من ماس
كل الاشياء مرايا خافتة الخوف
ألمح عند جدار الافق
بنيلوب في غابة هيلاس
تغرس زهرة عباد القمر الآتي
تسقي شجر الاحساس
ينمــو
أمضــي
الابحار .. التشريد .. الموت ..
التنهيد .. الاحلام .. العودة
يجرفني صمتي
يتمدد يحرق أنفاس النار
وعصاي حطام تحت عظامي
ترهب أفئدة المردة

القاهرة — عبد الشافي داود



اميل توفيق

الهدف المثالي والبناء الخلقي

في ضوء التحليل النفسي

بقلم اميل توفيق

* * *

يحدثنا الفرد ادلر رائد علم النفس الفردي عن نظريته في تكوين الخلق الفردي منذ المراحل الباكرة للحياة . فالنفس منذ الطفولة صفة هامة تفسر الحركة والنشاط . وهذه الصفة هي الغائية او الفرضية ، او السعي من اجل هدف . وهي صفة طبيعية (innate) تمكن الانسان ان يكون له نشاط تكيفي او ان يقوم بعمليات تكيفية .

هذا ووراء الهدف المأمول قوى او دوافع . وهذه تخلق الضرورة التي من شأنها ان يكون من مقتضيات النشاط التكيفي الذي تدفعه هذه القوى ان يوجه نحو الغرض المنشود .

وكل الظواهر الجسمية والنفسية تنبثق من هذا المبدأ (القوى الدافعة والساعية نحو الهدف) . والحياة النفسية للانسان انما يحددها ويشكلها الهدف ، فليس هناك من يفكر او يريد او يحلم او يشعر الا ان يكون مركز كل هذه الانشطة ومحورها هو الهدف .

ولو اننا عرفنا غاية الفرد التي يكومها خياله ، وعرفنا نوعية البيئة الخارجية لأمكننا ان نستشف المعنى الذي تقترن به تعبيراته ودينامية سلوكه لانه المعنى الذي يرتبط بالغاية المقصودة . كما امكنا ان نتفهم نوعية الحركات والنشاطات التي يمكن ان توصله الى تلك الغاية .

وبعبارة اخرى ان وجود الهدف لدى الفرد هو الباعث على تحريك الانشطة المختلفة وعلى تحديدها واستمرارها . ومن هنا فالتشكيل النفسي يتطور وفق تطور الهدف الذي يرتسم تخيليا امام الفرد او في ذهنه ، ليصبح هدفا مثاليا (Ideal goal) .

وتتضمن انشطة الفرد النمو والتعلم والتفاعل مع البيئة والتمرس بالخبرات المتنوعة في المواقف المعينة ، والقيام بالتدريب والتجريب لانواع المهارات ، او المواهب ، والتعبير عن النفس بالوسائل المختلفة .. ولكن الحياة النفسية التي تتألف منها هذه الانشطة لا تكون حياة سوية الا متى تحقق شرطان رئيسيان هما : (١) وجود هدف مدرك وملائم وقابل للتطور . (٢) تكيف الانشطة الموجهة (بقدرات الفرد وامكانات البيئة) نحو تحقيق الهدف .

ويمكننا ان نقول ان حرية الارادة في الفرد السوي انما تتشكل بربط نفس الانسان بغاية ، كما تتطور بتطور هذه الغاية ، وبحرية هذا التطور .

وبرغم ان الفرد يرتبط بظروفه البيئية والاجتماعية ويخضع لمؤثراتها بل وقوانينها ، فانه كثيرا ما يقاوم الكثير من الارتباطات الاجتماعية ويرفض ايضا ان يتكيف مع الكثير من حقائق الحياة الواقعية وذلك لانه يحصر همه ويركز جهوده ونشاطه في القانون الذي يحدده الهدف او الغاية التي يبتغي تحقيقها .

واحيانا كثيرة نرى بعض الافراد لا يعرفون اهدافهم بالضبط . وعدم وضوح الاهداف لديهم يسبب عدم تنظيم النشاط ، وتشتيت الجهود .. ومن هنا نجدهم لا يصلون الى نتائج فعالة . ومع ذلك فقد تبرز في الطريق « وسائل » تؤدي الى غايات واضحة او مدركة تغير من اهدافهم المثالية ، وبالتالي تقودهم الى تفوق لم يكونوا يتوقعونه .

ان الهدف الذي توجه اليه انشطة الفرد انما يتحدد بتلك الآثار والتأثرات والانطباعات التي تمدها البيئة للطفل او للصبي . كما ان الحالة المثالية او الهدف المثالي انما يتحدد غالبا في الشهور الاولى في الحياة . فالمشاعر والاحاسيس او الاستجابات الانفعالية التي تقترن بالمواقف المعنية انما تحدد او تعين ملامح الفلسفة الاجتماعية للطفل

كصورة باهتة بدائية . وعلى هذه القاعدة من التأثيرات يقوم البناء وتتشكل المفاهيم التي تنبني عليها رؤاه في المستقبل . ولكن هذا البناء يمكن فيما بعد .. واثناء حركة الحياة وفي مجراها ان يتعدل وان يتحور وان يتأثر فيتغير . والحياة السوية هي التي تتيح هذا التعديل والتطوير .

ذلك ان في النشاط العملي او الفني ، تكون الغايات عرضة للتغيير اثناء العمل وذلك لان التغير رهن بانبثاق ظروف جديدة ، بل قد يصيب الفرد نفسه التغير في القدرات والمهارات والافكار مما يولد غايات جديدة لم تكن متوقعة . وكما ان للغايات وسائلها ، فنحن نقول ان النشاط العملي يتيح للوسائل ان تعين الغايات ، كما ان الغايات تعين الوسائل(٢) .

يقول السيكلوجيون ان الصفات النفسية انما تتكون منذ الصغر ، وانها وراثية . وهذا القول الصحيح له شقان . ولو ان البعض التفتوا الى الشق الثاني فقط ، لكان ذلك خطر على التربية لانه مفهوم يعوق المربين ان يعملوا على التغيير ويضعف الثقة بالمربي ، وبامكانية التطوير . كما ان مفهوم الوراثة وحده يجعل الناس يهربون من تحمل مسؤولياتهم التربوية .

ان مدنيتنا يجب ان تقدم الامكانات والامدادات المادية والتربوية نحو تكوين الغايات او الاهداف . كما ينبغي ان توفر المناخ الديموقراطي الحر ، والجو العاطفي الذي يبعث على التشجيع ويربط الفرد بمجتمعه برباط الحب والولاء . وما لم يتوفر كل هذه العوامل تقف المراقيل دون تكوين الاهداف السوية . ان الطفل لا بد ان يجد الاهداف التي تشبع أمنه security ، وتمكنه من التكيف مع البيئة ، وتحقق له التوافق adjustment مع المجتمع . وعلى الاقل لا بد ان يتوافر لديه الحد الادنى من الظروف التي تمكنه من الشعور بالامن والتكيف والتوافق .

صحيح ان بعض الافراد يطلبون لانفسهم اهدافا فوق ما تطيق قدراتهم ، وفوق امكاناتهم العقلية وبصورة مبالغ فيها ، نتيجة لعوامل الانقياد والمحاكاة الاجتماعية .. او نتيجة لعدم تطابق تخيلاتهم مع واقعهم .. ومن ثم تنمو لديهم اهداف مريضة كأن تقترن بحب التسلط او الاستعلاء ، فلا يؤدي نشاطهم الموجه الى تحقيق متطلباتهم . وانما يصابون بالاهتزاز والقلق وعدم الطمأنينة ، بل العجز وعدم امكانهم التغلب على الصعاب .. ومن هنا يلجأون الى اسلوب المراوغة والهرب .. ومن هنا تنشأ الاهداف الملتوية وليست السوية .

وبالنسبة للافراد الذين ينهجون هذا الاسلوب الاخير ، لا بد ان يجدوا الرعاية اللازمة لعلاجهم واحاطتهم بالجو المشجع بالتعاطف والتقدير ، لكي يوجهوا التوجيه الصحيح العامل على تغيير اهدافهم المثالية وتنشيط الوسائل التي تحقق الوصول اليها .

ان الهدف المثالي الصحيح بالنسبة لفرد سوي هو الهدف الذي يتكون نتيجة التطابق بين الامكانات والقدرات الفردية .. وبين امكانات او وسائل تحقيقه اي التطابق بين الخيال والواقع . لا بد للشاب ان يحلم ولو بالمستحيل . ولكن لا بد ان يصل الى امكان تحقيق احلامه ، متى امكن ان يجد التكيف الصحيح ، والطمأنينة النفسية الضرورية .

واذا ما كانت الظروف مواتية بالنسبة لتطور الغايات والاهداف حتى يصل الافراد الى غاياتهم المثالية في الحياة .. فستكون كل الانشطة الموجهة انشطة موجبة .. بل ان الوجدان المصاحب لهذه الانشطة سيكون وجدانا مشرقا متسما بالتفاؤل والثقة والقدرة على مجابهة المشكلات ومقابلة التحديات بالحلول التكيفية السوية والتوافقات الاجتماعية السليمة .. ذلك انه تطور سيصحبه تطور في صفات الشجاعة والصراحة وتحمل المسؤولية والمثابرة ووضوح الرؤية ويقظة الوعي ..

اما اذا جاءت الظروف على العكس ، انتجت النقيض من هذه الصفات .. ان ركيزة البناء الخلقي السامي اساسها استهداف غاية مثالية يصحبها اكتشاف الذات ، ويربطها النشاط الذي يعمل على انماء الحاسة الابداعية ، في جو يتواءم مع الطبيعة ، ويتوافق مع المجتمع التوافق السوي . وجميع هذه العوامل تؤدي الى طريق الحرية . وهي الحرية معبرا عنها باستقلال الارادة وتلقائية السلوك .

---

(١) Understanding Human Nature — ألفرد أدلر .

(٢) Studies in Sociology — موريس جينزبرج .

مصر الجديدة — **اميل توفيق**

الواحة الخالدة

علي محمد لقمان

عصفيرة ـ تعز

ص.ب ٤٨٠٦

يا اجمل امرأة ولعت بها   هل تعلمين بأنني اهوى
عيناك لي بحران موجهما   شعر الحنين اليك والنجوى
أغرقتني فطربت في غرقي   نشوان يرضي رغدة نشوى
ونظرت حولي غير مكترث   بشتات ايامي وبالبلوى
فهواك لي وطن الوذ به   وأراه عندي المنتهى الحلوا
حل الخريف فما شعرت به   انت الربيع ولم يزل صحوا
ويظل حتى في الشتاء كما   كان الاريج وغاية السلوى
ما العمر الا زورق ذهبت   هوج الرياح به كما تهوى
مجدافه يلهو العباب به   وشراعه في عمقه يطوى
يمضي وصاحبه بغفلته   لا يعلمن فينقضي لهوا

خداك بستانان وردهما   يوحي الامان ويلهم الصفوا
لي فيهما الآفاق واسعة   تتقبل المتغرب النضوا
يسمو الخيال مفردا بهما   في متعة ، وجلال من سوى
ان الجمال هدى يضيء لنا   غدر السبيل فندرك النحوا
لولاه لم يحل الوجود لنا   دارا نضيق بقبحها خلوا
هو في عذاب القيظ مروحة   والدفء في برد اذا استقوى

يا واحة في ظلها التجأت   غرثى النفوس ، وماؤها اروى
لما وجدتك هائما دنفا   لاقيت فيك الحب والتقوى
ونسيت من احببت في عمري   حتى كأني لم اكن اهوى
ولقيت في خديك منتجعا   لضن ، فنمت ، ولم اكن اقوى
وسلوت احزاني تعذبني   في عالم يتجاهل الشكوى

شفتاك عنقودان ماؤهما   فيه شفاء المن والسلوى
يبدو الوجود كتاب مبتدع   وهما احب واجمل الفحوى
كم الهما من صورة عجب   ابقى من التأريخ او اقوى
او اسكرا مترنما بهما   فمضى الزمان ولم تغب « اروى »
تتسابق الانغام نحوهما   مرحا وتخطر فيهما زهوا
ما في الرياض الغين مثلهما   زهر يثير الشوق والشجوا
فتحلق الاطيار حولهما   يلي الشجي غناؤها حلوا
ويردد العشاق آهتهما   ولها بمبسم فاتن احوى

انا لا اريد سواك في زمن   يذر اللباب ويأخذ الحشوا
هل تسمعين الرعد مصطفقا   والارض زلزال بها دوى
والبرق يخطف ناظري قلق   من غير طب يشتكي العشوا
والغيث منسكبا تدفقه   والزمهرير يدكه شلوا
والانجم الزهراء خافية   والليل في ظلماته اسوا
والارض قد قامت قيامتها   والريح ما عادت لها رخوا
فكأنها والهول يمطرها   متمرد مستهتر سطوا
سبل السلامة من فواجعها   ضاعت فلم نسمع بها خطوا
كم منزل دلوا لذى ظما   لم يلق ماء لا ولا دلوا

كوني معي نصعد الى قمم   مترامیات جمة قصوى
تتراجع الانواء خائفة   منها اذا ما ازبدت نزوا
ويعود موج اليم في فزع   عنها ـ فوعر قهرها ـ عدوا
ونروض الاعصار مضطرما   كم هب مجنونا فما ألوى
فنعيش في امن وفي دعة   ما نحن الا قصة تروى



وحيد الدين بهاء الدين

شفيق معلوف كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

*

كنت وما انفككت ابحث بشغف عجيب عن انتاج المستعرب التركي : اسماعيل احمد ادهم ، ذي الاتجاهات المعاصرة والتناولات الحرة ، ولا سيما المنشور منه ، في الصحف والمجلات ، تلك التي صدرت منذ اواخر الثلاثينات حتى اوائل الاربعينات ، في الوطن العربي والمهجر ، وبعض الاقطار الاجنبية الاخرى ، كتركيا وايطاليا ، والمانيا ، والاتحاد السوفياتي ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ..

على ان بحثي المتصل المرهق ادى بي الى التأكد من ان اسماعيل ادهم ، نشر بعضا من دراساته العلمية في مجلة « العصبة الاندلسية » الصادرة بالمهجر الجنوبي بالبرازيل . فارتأيت ان لا ندحة لي عن الاتصال بـ « شفيق معلوف » الذي تولى رئاسة تحرير العصبة الاندلسية ، بعد الشيخ حبيب مسعود ، بكفاية ، وساهم فيها بما ملك من امكانات مادية ومعنوية ..

كتبت الى شفيق معلوف في العشرين من ايلول من عام ١٩٦٤ ، وكنت وقتذاك بمدينتي : كركوك ، بعد ان قرات عنوانه على غلاف احد دواوينه الشعرية ، لدى واحد ممن يتوهمون انهم من محامي الادب المهجري بالعراق ..

ويستقر جواب شفيق معلوف بين يدي . يقول : « اشكر لك ما ابديت نحوي من شعائر الولاء . فلك مني اصدق التمنيات بالتوفيق في مساعيك واعمالك . المغفور له الدكتور اسماعيل ادهم نشرت له مجلة « العصبة » مقالين اثنين : الاول بعنوان « رسالة المنبر الى الشرق العربي » وفي راسها رقم ٢ (ولم نعثر في مخلفات « العصبة » على الرقم الاول منها لانه لم ينشر في المجلة) . وقد ظهر هذا المقال في العدد الثالث من السنة الرابعة في شهر آذار ١٩٣٨ وفي الصفحة ١٩٥ . اما المقال الثاني فعنوانه « الرياضة والمنطق » صدر في الجزء السادس من السنة الرابعة المذكورة ، وفي شهر حزيران ١٩٣٨ الصفحة ٤٦٣ ولما كان يتعذر علي لاسباب صحية نقل المقالين المذكورين الواقعين في اربع عشرة صفحة من حرف ١٨ الصغير ، وكان من المستحيل ايجاد شخص استطيع تكليفه ذلك ، فقد سعيت بالتفتيش عن العددين المذكورين وقد وجدتهما بعد مصاعب جمة وارسلتهما اليك اليوم بالبريد العادي في رزمة مضمونة . فالرجاء افادتي بوصولهما » .

لقد اكبرت في شفيق معلوف اخلاصه وتعاونه ، وجعلني صنيعه الرائع اقابله بالمثل ، فأرسلت اليه برسالة امتنان واعتزاز ثم برزمة تتضمن شتى المطبوعات العراقية ..

لئن كانت رسالتي قد ادركته في حينها ، فان هاتيك المطبوعات قد تأخر وصولها اليه ، وهي في طريق البحر اكثر مما ينبغي . فاذا هو يتطلع الي بالتساؤل : « مضى على وصول رسالتك زهاء اشهر ثلاثة لم اتسلم بعد في خلالها ما ارسلته الي من مطبوعات . فالرجاء مراجعة البريد بذلك بموجب سند التسجيل لديكم وعذرا لتأخري بالكتابة اليكم للسبب نفسه » . ثم يتابع فيقول : « ارسلت اليكم العدد الاخير الذي صدر من مجلتنا « العصبة » عند حجبها عام ١٩٥٣ وفيه تاريخ نهضة الادب العربي في مهجرنا البرازيلي وقد ارفقته بمؤلفي « عبقر » . » ..

لفني القلق اللعين على مصير الكتب ، واشفقت فقلت : لعلها ما برحت في طريقها اذا لم تكن قد تاهت وشاهت .. وفي الوقت عينه راجعت على نحو رسمي مديرية البريد المركزي ، فأخبرني المسؤول بعد طلبه « الاوليات » : ان الطرد ارسل بالبحر عن طريق ميناء البصرة ، وانه بالغ صاحبه في القريب من غير خشية عليه ..

وفي منتصف عام ١٩٦٥ فاجأني شفيق معلوف بتلقيه المطبوعات حيث يقول : « تلقيت وانا على اهبة السفر الى مشتاي ما تلطفت بارساله الي من مؤلفات نفيسة احدها من قلمك وهو « من ادب التركمان » وكذلك « القصة » و « الشعر » و « فلسطين والغزو التتري » . وقد اكببت على مطالعة مؤلفك عن شعراء التركمان ، فراقني منه اسلوب ممتاز في التعبير واختيار الكلم وحسن الانتقاء والاصابة في التقدير ، وسأقرأ الباقي عندما اختلي

على شاطىء البحر بنفسي منصرفا الى المطالعة والكتابة».

ثم ما لبثت ان زودته بمطبوعات اخرى توافرت لدى حديثا ، ليطل بهـا على واقع عالمنا الادبي والفكري ، وليتحسس جهودنـا المتواضعة في مضمـار الثقافـة والصحافة . وكان ان انهى الي : « ابعث اليك بكلمتي هذه من مشتاي شاكرا لك ما تلطفت بارسال ما وصلني منك من مطبوعات مرفوقة بأجزاء ثلاثة من مجلة « الاخاء » الراقية . زاد للروح في العزلة واي زاد . فاليك تحيتي الصادقة . حفظك الله ورعاك » .

في اثناء ذلك وددت ان استدرج شفيق معلوف ، للمشاركة في تحرير مجلة « الاخاء » التي كنت اعمل بها ، اذا كان له قدر من الاستطاعة ، ولديه متسع من الوقت . بالرغم من البعد الشاسع الذي يفصل بيننا ، ويختزله زمن العلم والحضارة اختزالا ، بعد ان صارت هذه المجلة همزة وصل بيني وبين كثير من الادباء والشعراء على صعيد القطر ، وعلى مستوى الوطن العربي ، والمهجر .

لكن شفيق معلوف صارحني في جواب له قائلا : « واتمنى لو لم اكن منقطعا عن النظم والتأليف في السنوات الاخيرة ، ان ابعث ببعض ما يتوجب علي لمجلة « الاخاء » . فمعذرة على تقصيري . والكريم من عذر » .

وبالرغم من هذا الجواب الحاسم الذي ساقه الي شفيق معلوف ، فما يئست ، وانما رأيت من الانسب ان ادعو اخاه الشاعر الناثر رياض معلوف ، هـذا الذي يحتضنه الكوخ الاخضر بزحلة لبنان ، لعله ان يلبي رغبتي ، فيسهم اسهاما في تغذية مجلتنا . فلا فرق بينهما ، ثراء وعطـاء ..

وما ان يدرك شفيق معلوف ، ما توخيته من الاتصال بأخيه رياض وما قمت بـه في هذه المرة ، من ارسال مطبوعات اليه عن طريقه ، حتى بادر بالاجابة بروح من المحبة والاكتراث . « وقد سرني اتصالك بالشقيق رياض في زحلة . ولا شك انه موافيني قريبا بما ارسلتموه الي عن يده .. » .

وفي رسالة تالية اومأ شفيق معلوف الى ما اراد في ما سلف . فقال : « كل ما تفضلت بارساله الي او بواسطة الشقيق رياض تسلمته ، فأكرر لك الشكر على كل ذلك . وسرني ما وافيتني به من اخبار اخوان الادب ، فحيهم عني . واليك مني اصدق عواطف الولاء .. » .

ذات يوم كنت اقرأ كتاب « قصة الوقت » للاديب الفنان ناجي جواد ، فلاحظت انه افرد فيه فصلا عـن « الساعة والادب » ، تطرق فيه الى مباراة شعرية جرت بسان باولو حول « فنجان قهوة » وشارك فيها شفيق معلوف ، واخوه فوزي وخالهما ميشال معلوف وشاهين معلوف وخصصت لها ساعة يدوية يحوزها الفائز الاول بعد اجراء التحكم ..

هنا اقترحت على ناجي جواد ان يهدي نسخة من كتابه هذا الى شفيق معلوف ، فاستجاب بلطفه المشهود . ما عتمت ان اسرعت بـ « قصة الوقت » الى البريد ، مؤملا في نفسي ، ان اجمع ولو على البعد ، بين اديبين فاضلين ، لتزهو بهما آصرة التعارف العقلي والتعاطف الروحي ..

ويتمثل الكتاب بين يدي شفيق معلوف ، آية ادبية وتاريخية ، فيكتب الي منوها : « اما قصة الوقت فقد تسلمتها وكتبت الى صاحبها شاكرا بعد ان بعثت اليه بكتاب « عبقر » هدية مني اليه . فأرجو منك عندما تلتقي الاستاذ ناجي جواد ان تهدي اليه تحياتي .. » . ثـم يستمر : « وارسلت على عنوانك ديواني «سنابل راعوث» وقد كانت الطبعة قد نفدت ولكنني تمكنت مؤخرا مـن الحصول على بضع نسخ منها فابتعتها للاهداء .. » .

متى ما علمنا ان شفيق معلوف بحكم انتمائه الى الاسرة المعلوفية ذات الصيت في دماثة الاخلاق وخصوبة المواهب ، استطاع ان يؤلف بين اصالة الشعر وامانة الفكر على اكرم ما يكون ، ارتحنا الى سمعته في المجتمع ، ومكانته بين معاصريه ، حتى وضعت عنه دراسات تحليلية نقدية ، وفصل في شعره ونثره القول ، وترجم شيء غير ضئيل من انتاجه الى اللغة البرتغالية ، تقييما له وتكريما .

وبباعث من هذا الاحساس ، ألف فيه الكاتب العربي المهجري عبد اللطيف اليونس كتابا مستقلا يحمل عنوان « شاعر عبقر واهازيج الفن » . انما شدة ولعي بأدب المهجر من جهة ، وتتبعي لشعر شفيق معلوف من جهة ثانية ، دفعاني الى الرغبة في هذا الكتاب . كتبت الى عبد اللطيف اليونس ، المؤلف ، والـى شفيق معلوف المؤلف فيه ..

وافاني جوابهما الشافي . اما شفيق معلوف فقد قال : « مؤلف ــ شاعر عبقر ــ للاستاذ عبد اللطيف اليونس ، سيرسله اليك عن طريق دار جريدة « الحياة » في بيروت ، وهي التي قامت بطبعه وتوزيعه » . كذلك قال في رسالة اخرى وردت : « اخبرك انني اتصلت فورا بالاستاذ اليونس وافضيت اليه بعنوانك الجديد وبلغته تحياتك فحياك وطلب الي ان ابعث اليك بعاطفة شكره . كما انه كان قد اطلعني على رسالتك اليه بشأن « شاعر عبقر » مؤلفه ذلك الذي تسلمته فور طلبه . فشكرا على غيرتك واهتمامك .. » .

انصافا اسجل ان شفيق معلوف لم يكن يتوانى عن ان يبعث الي بمطبوعات مهجرية ، اتلهف الى مطالعتها ، استزادة مـن منابعها ومراميها ، واستقطارا لمضامينها

ومعانيها ، كلما اراد هو ، وتمكن اليه سبيلا ، وكلما تطلعت انا الى ذلك كله . .

تكرم علي شفيق معلوف على كر الايام ، اضافة الى مؤلفاته ودواوينه ، مجموعة من اعداد مجلة « العصبة » ومنشوراتها ، ككتاب « ابن حامد او سقوط غرناطة » لاخيه الشاعر الراحل فوزي معلوف ، وكتاب « ما اجملك يا لبنان » للنابغة الشيخ حبيب مسعود الذي خر صريعا في حوادث لبنان المؤسفة ، وكتاب « في هيكل الذكرى » الصادر عن الشاعر الكاتب ميشال معلوف مؤسس العصبة الاندلسية ، وكتاب « اقاصيص » للكاتب الفنان جورج حسون معلوف ، وكتاب « كما هي » للاديب المؤرخ الجرىء توفيق ضعون ، وكتاب « مقطفة النجوم » الصادر عن دار « المراحل » بسان باولو بالبرازيل ، وما الى ذلك . .

فاذا كان الشيء يذكر بالشيء ، فان الحديث عن المطبوعات المهجرية الواصلة الي والى غيري هدية مزجاة من اصدقاء لنا هناك ، يحضني على الالماح الى شيء ذي بال مما اوقع شفيق معلوف في بعض المتاعب ، وهو يحاول ذات مرة ان يرسل الي ببعض ما اعتاد ان يرسل . .

في الثاني والعشرين من ايلول من عام ١٩٧١ كتب الي يقول بالحرف الواحد : « . . وبعد تراني باعثا اليك بأسطري هذه شاكيا فوضى البريد بيننا وبينكم . فقد تسلمت منذ بضعة ايام رزمتي كتب مرتجعة وكنت قد ارسلتها على عنوانكم منذ المكاتبة المتبادلة بيننا مؤخرا . اما سبب الارجاع فهو كما ترون على الغلاف الذي اعيده اليكم طيه :

Pas de service via Israel

ومعنى الختم هذا كما ترون « لا تبادل خدمة عن طريق اسرائيل » .

فالرجاء ان تبحثوا عندكم عن معنى هذا الارجاع والتلطف بالافادة كيف يمكننا ان نوصل اليكم مؤلفاتنا من الآن فصاعدا . . » .

سرعان ما اجبت عنه بما ينبغي ان يفعل ضمانا لايصال هذه المطبوعات وغيرها الينا دون ان تعاد اليه مرة اخرى ، ودون ان تضل سبيلها اطلاقا .

ثم ما كان منه الا ان جعلني اطمئن الى ما فعل ، كما جاء في رسالة له جديدة ، اذ افاد : « وقد عهدت بالكتب المرتجعة الى من اتصل بالمسؤول في ادارة البريد ، فارتأى ان نعيد ارسالها في رزمة واحدة عن طريق ايطاليا ، وهكذا كان . فأؤمل ان تصل قريبا اليك . . » .

في خلال لقائي بالدكتور طه حسين بالقاهرة ، سئل عن الشعر المهجري الجنوبي ، وعن بعض اقطابه كالشاعر القروي والياس فرحات وشفيق معلوف وجورج صيدح ، وقد سبق لـه ان سجل رايه في شاعرية فوزي معلوف وايليا ابي ماضي في كتابه « حديث الاربعاء » . فأفضى انه لا يعرف من هؤلاء الا شفيق معلوف ، وانه قرا له . .

على اني نشرت ما طرح في هذا اللقاء الادبي في صحيفة « الجمهورية » البغدادية ، كما نشر صديقي الكاتب الكبير وديع فلسطين ، الذي رافقني في لقائي ، شيئا مماثلا في مجلة « الاديب » اللبنانية .

ولئن كان تصريح طه حسين ، قد اثار حفيظة جورج صيدح والشاعر القروي والياس فرحات والياس قنصل ، فانه قد سر شفيق معلوف ، بحيث اتصل بي وبغيري راجيا لان ارسل اليه بما نشرته ونشره وديع فلسطين ، ليطلع على ذلك بنفسه ، ويطمئن الى ما قيل في شعره من راي . . كان له ما اراد .

حين صدر كتابي « شخصيات من الادب المعاصر » وفيه بحث عن « عبقرية شفيق معلوف » اضطلع ناشره عبدالله يوركي حلاق ، الشاعر الناثر ، وصاحب مجلة « الضاد » الحلبية بارسال نسخة منه الى شفيق معلوف ، وما ان يتلو ما خصصته به من حديث تحليلي جامع ، حتى وجه الي كتابا لطيفا ، ذكر فيه : « كتاب « شخصيات من الادب المعاصر » وصلني ، وطالعت فيه ما تلطفت وخصصتني بـه ، فجاء دليلا على نبيل خلقك ، وصفاء غيرتك ، ولا اعلم كيف اشكرك لاهتمامك بأدبي ، كما اهنئك بما تنشره علينا من دراسات رائعة عن ادب العصر وادبائه . . » .

ثم انكمش شفيق معلوف على همومه ووساوسه . .

جعلت اخباره تتواتر ، لانهماكه بمتاعب زوجته : روز ، مقطفة النجوم كما يسميها ، وما تباهظه رعايتها من نصب ووصب . . مكابدة ومجالدة ، الى ان ماتت بداء السرطان مأسوفا عليها ، بعد ان اخفقت انجع الوسائل في انقاذها من هذا المصاص القتال . فوقع رحيلها عليه وقعا مؤلما ، ونال منه منالا ، واخرسه الحزن الصامت عن اي شيء ، والقاه في قرارة الغربة والضياع والعزلة ، فأعزيه كما يعزيه الآخرون من اصفيائه واصدقائه . .

مع هذا كله ، كان لا بد ان يفعل شفيق معلوف شيئا ، وقد احتضن الفجيعة القاصمة ، وتذوق المرارة الفظيعة ، وتلقى ضربة الاقدار ، بموت احب الناس اليه ، واعزهم عليه ، واقربهم منه . . كان لا بد ان يعبر ، والحالة هذه ، عن نفثاته وسوانحه تنفيسا له ، ويرسم ذكرياته وسبحاته تسرية عنه ، باللواذ بالشعر والفكر . . انهما سلواه ونجواه ، وفيهما دواؤه وشفاؤه . .

اذ وضع اثرا شامخا رائعا ، طبعه كما كتبه بخط يده ، في لبنان في عام ١٩٧٥ وتحت اشراف اخيه رياض

معلوف ، حاملا عنوان « ستائر الهودج » حاويا بين دفتيه رائق الشعر والنثر ، وهو مستوحى من رحلة حياته الزوجية : ما قبلها وما بعدها ، وما اكتنفهما من حب وشوق .. امل ومثل .. لقاء وعطاء . يقول في موضوع « صفحة اخيرة » :

جفناك تلاقيا لغير فراق
صرت اقرب الى تقطيف النجوم منك ،
يوم كنت على الارض
ذكراك متعة لروحي ، وهي ترافقني
في يقظاتي
ما اشوقني الى رؤيتك في الحلم ، ولكنني
منذ فارقتني ، فارقتني احلامي ...
وكل ذكرى كانت جميلة في الامس
صارت اليوم غصة في القلب
فعيناك انطفأتا .. الا في قلبي !

لقد حز في نفسي ان احرج شفيق معلوف ، في ما بعد ، وهو الشيخ العليل ذو الجساسية الحادة ، وعز علي ان اخرجه من صمته المطبق الذي استسلم له بكل خواطره ومشاعره ، ورفعه جدارا سميكا بينه وبين الآخرين ..

والحق يقال ، ان شفيق معلوف كان مريضا قبل مرض زوجته العضال .. كان مصابا بربو مزمن ، تنتابه نوباته بين فترة وفترة ، حتى لتكاد تخنقه ..

انما كان يخلد الى الراحة والهدوء في منتجعه ومشتاه ، بعيدا عن المظاهر والاضواء ، بعد ان سلم مقاليد اموره الى نجله الوحيد : اسكندر التاجر والشاعر باللغة البرتغالية ..

من هنا استغللت فرصة قبوعه بدارته ، وكتبت اليه مضطرا مرتين ، يحملني على ذلك رغبة مني في تفقدي حاله ، وسلامي عليه ، وتطلعي اليه ، بيد انه لم يجب وان شئت فقل لم يقدر ان يجيب عن ما كتبت اليه . ذهبت في ذلك مذاهب ثم تساءلت . فاذا الصديق الصفي الشاعر جورج صيدح يقول : « اما شفيق معلوف ، فاعذره على سكوته . مرضه المزمن (الربو شبه الخانوق) يضطره الى الاعتزال الطويل في صومعة بناها في الجبل الشاهق ليستشفي فيها » .. واذا الصديق المفضال الشاعر فيليب لطف‌الله ينهي الي من سان باولو : « ... الشاعر شفيق معلوف كلمته على الهاتف وقرأت لـه ما كتبته اليه في رسالتك ، فأبدى اسفه لعدم تمكنه من الكتابة وانه مريض منذ عشرة اشهر ويده ترتجف ، وعندما تتحسن صحته سيكتب اليك في اول فرصة يتمكن بها من ذلك وهو يشكركم شكرا جزيلا .. » .

وتداولت الايام سراعا ..

ثم كتبت اليه للمرة الثالثة وفاء مني ، وامتثالا لنداء الضمير في السؤال عنه ، يبدو ان اهتمامي الزائد به حثه على ان يرد بالسرعة المستطاعة . حيث قال في رسالته — وهي آخر ما ادركني منه — المؤرخة بالخامس عشر من آذار من عام ١٩٧٦ : « تحية الشكر والولاء . منذ اواسط العام الفائت والادواء تنتابني ، الداء بعد الداء . وقد انقطعت عن اداء ما يتوجب مع اعز الاصدقاء وانت منهم فعذرا . وهذه اول كلمة اخطها لتطمينك انني قد بدات اشعر بتحسن طفيف . والحمد لله .. اعذرني على الايجاز ، ما زلت قد عرفت السبب .. » .

في يوم الخامس والعشرين من كانون الاول من عام ١٩٧٦ ، وهو يوم عيد الميلاد المجيد فاضت روح شفيق معلوف تعانق روح زوجته : روز في لقاء ابدي يتأبى على الانفصام ..

وهرعت الى القرطاس امد يـد المحبة الى نجله اسكندر بسان باولو من جهة والى اخيه رياض معلوف بزحلة من جهة اخرى ، معزيا اياهما ، ومشاطرا مصابهما الجلـل ..

طالعني جواب رياض معلوف ، وهو نسخة من كتاب « ستائر الهودج » وعلى غلافه الداخلي : « الى الصديق العزيز الاديب الالمعي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين من صديقه المؤلف ومن اخيه الذي وقف على نشر هذا الكتاب مع الصداقة . رياض معلوف . زحلة ٢٧ آب ١٩٧٥ .. » .

فأدركت ان رياض معلوف لم يستطع من ان يرسل بالكتاب الي بسبب احداث لبنان المفجعة حتى آن اوانه ..

كذلك سطر على حاشية الغلاف الداخلي : « شكري الجزيل على تعزيتك بالحبيب شفيق الذي فقدناه آسفين جدا كما فقده الشعر والاصحاب الاحباب مثلك اطال الله عمرك وحفظك لاخيك الاسيف . زحلة ١ شباط ١٩٧٧ » .

في ذمة الله ايها الصديق الشفيق ..

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

العاشق والوردة

*

حسين علي محمد

*

الشرقية — مصر

ازرعني في قلبك وردة
ضمخني بطيوب الحب
انقذني من صحراء الجدب ..
ومن سنوات العقم الممتدة .

حين رأيتك ذات صباح
تجتاز الطرقات المفضية
الى بهو البهجة
كانت كلماتي آثار جراح
قد أدمت جسمي
في الزمن الغابر
ولهذا يا محبوبي
لا تغضب من شعري الثائر
أو من كلماتي الغضبى
فأنا ان شئت
لن أنطق حرفا
فالكلمات العاشقة المجنونة ضعفا
لا تجدي شيئا
في وجه السيف

السياف يطارد رأسي يا محبوبي
وأنا .. أرنو للشباك
أبحث عن طيفك
(هل يأتي طيفك ينقذ من يهواك
لكن المعشوقة .. ترفض .. تتأبى
(وأنا .. أتمزق في ليل الوحشة
تدميني الاشواك)
تنسى من قدم عمره
قربانا للآلام وللاحزان
حتى يفرح في داخلها
القلب الاسيان !

هذا قلبي بين يديك
كتاب مفتوح
لو شئت ..
أمطت لثام الكلمات الحرى
ورأيت العاشق ملقى في الطرقات
جريحا وكسيح
ينتظر المحبوبة تأتي
مع نسمات الريح ...
القادمة من الارض المجهولة
ولهذا .. لا يشغلك الهمس المذبوح
عن تلك الروح
روح الانسان العاشق
في جسد مجروح

مع الشاعر عدنان مردم بك في

مسرحية «دير ياسين»

بقلم سكينة الشهابي

***

مسرحية شعرية من اربعة فصول تأخذ موضوعها من التاريخ المعاصر وتحكي جانبا من واقع العرب في صراعهم مع الصهيونية العالمية . وان شئنا التخصيص قلنا : انها تصور نضال الشعب الفلسطيني بمعداته القليلة وانفعالاته الكبيرة ، والمعدات لا نقصد بها الاسلحة فقط بل نضيف الى جانب الاسلحة المعرفة ، لان المعدات المعنوية ربما كانت في بعض الاحيان اشد ضرورة من المعدات الحربية ، وربما استطعنا ان نضيف الانصار الاوفياء الى الاسلحة المعنوية لان مكانتهم كبيرة في اضرام نيران الحرب وقت الضرورة وتدعيم الصفوف ، وتأمين الذخيرة ، انهم يضيفون الى الايمان الراسخ في النفوس ، ايمانا ، ويزيدون القدم ثباتا في الدفاع عن العقيدة .

موضوع المسرحية يعرفه كل انسان عربي ، بل ربما عرفنا عن مذبحة دير ياسين ووحشية الصهاينة في التنكيل بسكانها الآمنين شيوخا ونساء واطفالا اشياء كثيرة لم تستطع التعبير عنها فصول المسرحية ومشاهدها التي قيدها البحر ، وتحكمت في عباراتها القافية ، والمهم فيها ذلك الجانب الفكري والقومي الذي حرص الشاعر على ان يبرزه لنا لانه لا يحكي مشكلة آنية من مشاكل العرب وانما يحكي ازمة في تاريخ امتنا المعاصر ما زالت مستعصية على الحل .

خصص الشاعر الفصل الاول والثاني والرابع للحوار العربي وافرد جانبا من الثالث للحوار بين الارهابيين الصهاينة ، وحاول من خلال الحوار بين العرب ان يبرز لنا واقعهم : آلام عميقة ، وانفعالات قومية كبيرة ، يرافقها الكلام الكثير الذي لا يمتلك رصيدا كافيا من القوة والحكمة .

اختار الشاعر لمسرحيته مجموعة من الشخصيات العربية التي استشهد معظمها في مجزرة دير ياسين الرهيبة ، وليس بين هذه الشخصيات من عناصر المقاومة الفعالة سوى محمد بن الحاج عايش ، فقد استشهد وهو يحمل سلاحه ويدافع عن ارض اجداده ، واوصى ان تسلم بندقيته بعد استشهاده لوالدته لما كان لها من الدور الفعال في بث الحماس في نفسه وشحنها بالمشاعر القومية .

كان ذلك البطل يعيش في صراع رهيب ، فهو يحب وطنه ويرغب في الدفاع عنه ولكن المثبطات التي تكتنف الواقع العربي تحيط به من كل جانب ، ولذلك كنا نراه تارة كئيبا حزينا يكاد الحزن يتآكل جنباته ، يفكر بالزعماء العرب الذين يتاجرون بالقضية العربية وبالانكليز اولئك الذين يسمون بالحلفاء وليسوا الا انصارا لليهود ، لا يكفون عن مدهم بسيل لا ينضب من المعونات والاموال :

شجني كبير كالمحيـ ط وناره لا تخمد
ما كنت ادري والمصا ئب جمة من انقد
فبنو العمومة لا تجيـ ب نداءنا او تسعد
تخموا وما زالوا الجيا ع وكفهم تسترفد
اما الحليف فانت اد رى بالحليف وارشد
سبع علينا بل اشد د من السباع وانكد
وهو الغيور على اليهو د بما يجود ويرفد

وبعد ان نسمع منه هذه النغمة الشجية نراه فجأة يتمرد على الواقع ويتجاوز الصعوبات التي تعترض طريق الثورة ، ويعلو على كل صور اليأس المثبطة مسلحا بعزيمة جبارة تدفعه الى الاستمرار في المقاومة وعدم الاستسلام الى العجز :

هيهات نجبن او نكل ل عن الصراع ونحجم
الحر لا يلوي يدا عجزا ولا يتبرم
ماذا يضير اذا دجا ليل وغارت انجم
لا ، لن نهاب ولن نذل وفي ضمائرنا دم

والحقيقة ان هذا الثائر هو العنصر الايجابي الفعال الذي يعطينا نموذجا لرجال المقاومة وهناك في المسرحية من يقتصر دوره الايجابي على الهاب العواطف وبث نار النخوة ، من هؤلاء رجاء زوجة محمد وحلوة زيدان ام محمد ، وهي تمثل دور المراة العربية الشجاعة التي تقف خلف الرجل تحرضه وتبث في مناياه النخوة حتى تذكرنا بأسماء ام عبدالله بن الزبير :

ولدي فديتك والحيا ة المجد في دنيا الغد
اقدم ولاتك زاهدا في مشهد بالسؤدد
وكن المنار يضيء للسا ري ويأخذ باليد

ومن ابطال المسرحية الذين تتجلى ايجابيتهم بأقوالهم ولكنهم يعجزون عن حمل السلاح محمد علي خليل ، وهو كهل اعمى ، يقف هذا الرجل موقفا صلبا امام انهزامية مختار دير ياسين وسلبيته ، فمن اقواله لمختار القرية حين جاء محذرا اهل القرية من مغبة الصراع مع اليهود بحجة ما يملك اليهود من قوة ، وبسبب اخلاص حلفائهم لهم ، ولأن العرب لا يملكون من العتاد الا القليل ، وزادهم الاقوال دون الاعمال :

كسونا بالدم المهرا ق عري الارض اردانا
فراح القفر من صلف يهز العطف سكرانا
ألم تبصر على الغبرا ء للمأساة الوانا
ألم تسمع نشيج الاهـ ل اعوالا وأرنانا
ونبغي ان نكم فما ولا ننسى لبلوانا

لعلنا نستطيع ان نقول : ان شخصيات المسرحية قد ادت دورها في ابراز الافكار التي حملها اياها الشاعر ، ولكنها لم تؤد دورها الفني الذي تتطلبه المسرحية ، ما كان يريد ان يقوله الشاعر وبالحاح هو كثرة ما نردده من اقوال وما نتغنى به من عبارات في تقديس الوطن ، فقد كنا نسمع

بـين الفينة والفينة اطفالا ينشدون في الشارع اناشيد قومية ، ونصغي الى الحوار الدائر في المجالس فاذا فيه القوم والوطن والارض والنضال ، وحـين ازفت ساعة المعركة لم نشاهد بين هؤلاء الذين يرددون الاقوال الرنانة الا قلة يتمكنون من حمل السلاح .

والملاحظ ان الشاعر كان شديد العطف على شعب دير ياسين ، حتى مختار القرية الذي كان مصرا على مسالمة اليهود ايقظ فيه الضمير حين جد الجد وتكشف له عدوان اليهود الغادر ومكائدهم المبيتة ، وانتهاكهم حرمة الآمنين المسالمين :

أملت خيرا في السلا   م لدفع عادية الردى
وحسبت في الحرب الدما   ر فخفت عاقبة الوغى
فاذا السلام مع اليهو   د هو المهانة والاذى

ولعلنا نلمح الفرق واضحا بـين شخصية العربي وشخصية اليهودي حين نصغي الى حوار بين الارهابيين الصهاينة ، فاليهودي واثق بقوة سلاحه ، مؤمن بأن العنف هو السبيل الوحيد في الوصول الى الهدف ، ولا يهمه في طريقه هذا ان يدوس كل القيم الانسانية ويخمد صوت الضمير ، يقول دافيد :

مـا دير ياسين سوى   الامـل المحبب والوطر
هـي لقمـة معسولة   عذبـت وطابت كالثمر
احبب بهـا صيـدا رمتـه   دوننـا يمنـى القـدر
سـيروا بنـا لنحيلهـا   طلـلا ونجعلها حفـر

كما يصور لنا ما عرفوا به من نشر الدعايات الكاذبة واثارة التفرقة والقلاقل بين العرب علهم بذلك يضعفونهم تمهيدا لصيدهم . يقول مختار بيت شؤل :

غـررت اصـلاف العد   و ببهرج لا يصلـح
وخدعتهم حتى انتشوا   وهـم السكارى الطلح
يتناحـرون وباسهـم   مـا بينهـم لا يكبـح
وبكـل ناحيـة خطيـ   ب دونهـم يتبجـح

مردخان :

اوثقت من عجز العدو   اذا استثير عن القتال ؟

وعلى كل حال فالذي نستخلصه من الحوار الدائر بين زعماء صهيون يؤكد لنـا اصرارهم على التنكيل بالعرب وصدق العزيمة والثبات والسير وفـق خطط مرسومة للوصول الى الهدف . يقول مناحم بيغن وقد سمع هتافا واناشيد :

أنشيـد ولـم ننـل   مـن عدونـا أرب
كيـف نشدو وقدسنـا   لـم تحرر من العرب

المختار بهدوء :

لـم يكن مـا سمعته   بغنـاء ولا طـرب
اصنع للقـوم تستمـع   نامة الحقد والغضب

لقد اراد الشاعر عدنان مردم ان يعبر عن مشاعره القومية ، ويصور موقفه من القضية الفلسطينية فلم تكن مسرحيته تاريخا ولكنها كانت موقفا من التاريخ ، تحليل للواقع ، وتعليل للفشل ، فرؤية الداء ربما مكنت من تصور الدواء ، وبعثت خيوط الامل بالشفاء . وكأني بالشاعر اراد ن يقول : نريد القوة ، نريد التضامن ، نريد العلم ، نريد ان يستفيق الضمير عند العرب جميعا لان فئة واحدة لا تحل مشكلة ، ووقتها ستغني عنا كثرتنا ، ويومها لا نجد انفسنا بحاجة الى الصراخ والشكوى ولا الى الهتاف بحياة الوطن ، وقتها ستتكلم السواعد وتستريح الالسنة . يجب ان نحارب اليهود بسلاحهم ، وسنترك لهم سلاحا واحدا لانه لا يتمشى مع طبيعتنا العربية الا وهو سلاح الوحشية والغدر . وليس صوت الاستاذ عدنان مردم بك الا صوت كل عربي ابي .

هذا حين ننظر الى المسرحية كفكر ، اما من حيث الفن المسرحي فأجدني بحاجة الى وقفة عند بناء المسرحية ، ورسم الشخصيات الذي يكون شيئا اساسيا في هذا البناء.

ونتساءل في حديثنا عن البناء ، هل وضع الشاعر كل عبارة وكل كلمة مكانها بحيث لا يمكن ان تحل محلها اخرى ، وهل شعرنا ونحن في جو المسرحية اننا مع الماضي وفي الحاضر ونتطلع بلهفة الى المستقبل ؟ وحين لا يتملكنا مثل هذا الاحساس الذي نتحدث عنه نضع المسؤولية على عاتق البناء الفني لعجزه عن ان يشعرنا بأهمية الموضوع ويرغبنا في متابعة الاحداث ، وفي اعتقادي ان ما حكاه الشاعر في المقدمة عن موضوع المسرحية اخذ حيزا في اذهاننا اكثر من فصول المسرحية الاربعة .

وماذا عن رسم الشخصيات الذي يمكن ان يعتبر جزءا لا يتجزأ من عملية البناء الفني ؟ لم يخلق الشاعر شخصياته ، فقد كانت واقعية ، ومع ذلك فانها لم ترتد لبوسا فنيا كافيا لتقوم بدور يستثير اعجابنا ويتجلى فيه الصدق الفني ، واذا كانت معرفتنا بأبطال المسرحية تتم عن طريق الحوار ، بما تقول وما يقال عنها وما يقال لها ، اذا كان ذلك كذلك فهل نقبل قول رجاء لزوجها محمد الحاج عايش وهو الذي يحتل دور البطولة في المسرحية :

انـي اطالع في جفو   نك رعشة الحمل الذبيح
وأكاد ألمس مـا تكا   تم في الاضالع من جروح

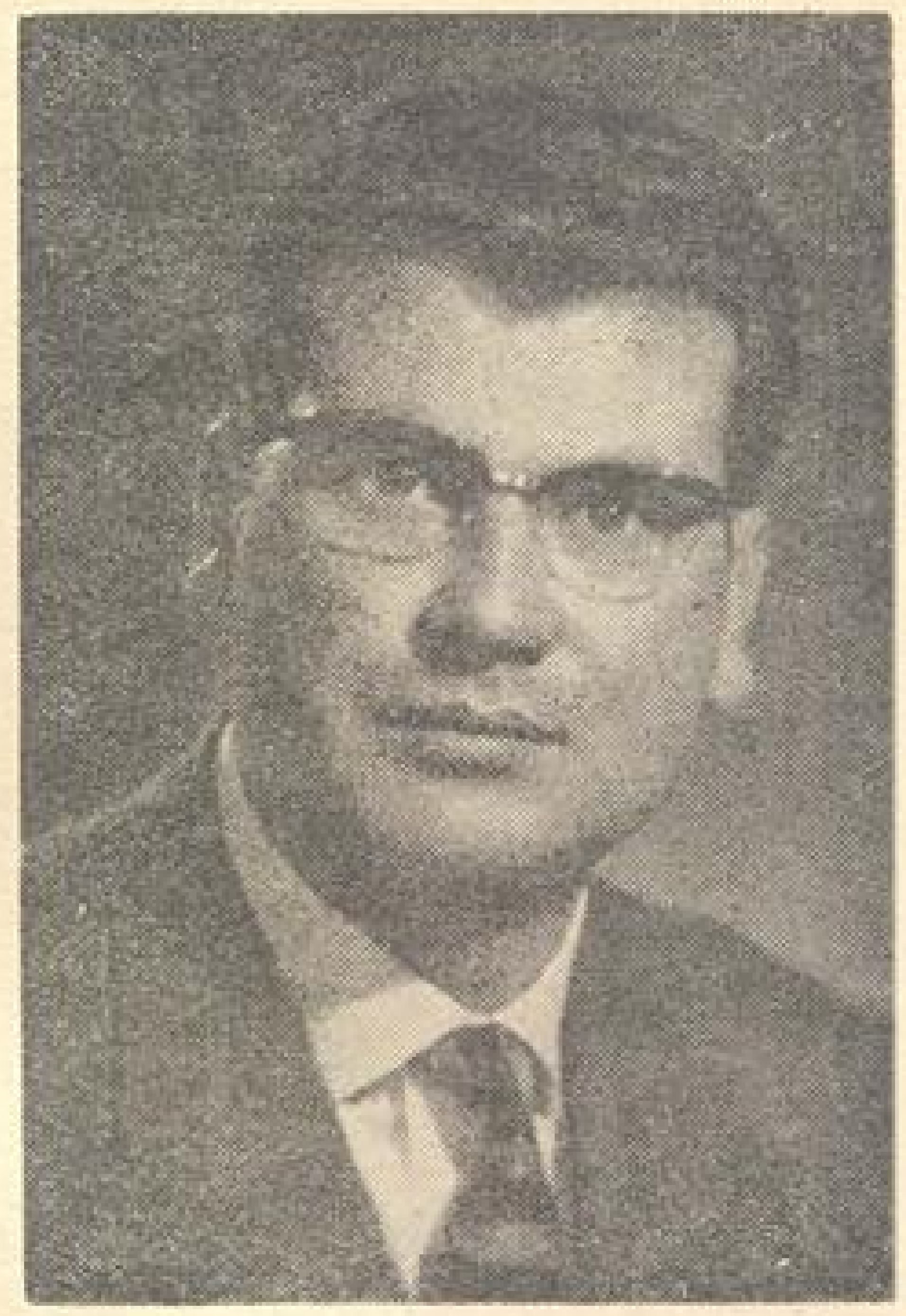
فيجيب :

هـي ثورة ملء الاضا   لـع كاللظـى تتوقـد
هـي ثـورة لا تستقر   علـى المدى او تخلد

فهل تتفق رعشة الحمل الذبيح مـع الثورة التي تتوقد ، ام هي ضرورة الوزن والقافية ! ومثل ذلك كثير في المسرحية مما يجعل شخصياتها لا تستطيع ان تتخذ في اذهاننا معالم واضحة وبالتالي فقدت اهميتها فضعف تبعا لذلك تأثير المسرحية .

لقد طغى الفكر على المسرح في « دير ياسين » ولعل المشاعر القومية والعمق في تحليل الواقع وسبر جوانبه المختلفة خرجت بالشاعر من دائرة الفن ووجهته وجهة المفكر الذي استقطبت تفكيره قضية بعينها فراح يناقشها ويقلبها على وجوهها ليضع لها العلاج المرضي .

دمشق   **سكينة الشهابي**



عيسى فتوح

الالهام وتنوع الطبيعة

بقلم عيسى فتوح

* * *

اذا ثبت فعلا ان الطبيعة هي مصدر الهام الشعراء والادباء والفنانين ، وان المنظر الطبيعي الجميل يخصب خيالاتهم ، ويوسع آفاقهم ، ويفتح اذهانهم ، فيأتون بالصور البديعة ، والمعاني الجديدة ، واللوحات الرائعة ، اذا صح ذلك فما هو نصيب الطبيعة الجرداء المحرومة من مقومات الخلق والابداع ؟ وهل صحيح ان الطبيعة التي تكثر فيها الجبال الشامخة ، والانهار المتدفقة ، والسواقي المرنمة ، والكهوف العميقة ، والوديان السحيقة ، والصخور العملاقة ، والطيور المغردة ، والغابات الظليلة تلهم الشاعر او الفنان ما لا تلهمه الطبيعة المحرومة من هذه الاشياء ؟

قد يكون في هذا الافتراض شيء كبير من الصحة ، لاننا لو قمنا بعملية احصائية واسعة النطاق ، تشمل جميع المناطق الطبيعية في العالم لراينا حقا ان الارض التي وهبها الله جودة المناخ وسحر المنظر ، وجمال التكوين اغنى بالادباء والشعراء والفنانين من غيرها .

رب قائل يقول : ان المناطق الغنية بالاشجار ، المليئة بالمياه والصخور تستقطب الناس بكثافة اشد ، فلا غرو ان ينجم عن هذه الكثافة عدد اكبر من الشعراء والادباء والفنانين ، ولكننا لو تركنا مسألة الكثافة والخلخلة جانبا ، لواجهتنا الحقيقة وهي ان معظم سكان الجبال الشاهقة ، والوديان السحيقة الطافحة بالاسرار والاشباح يميل الى الشعر والفن والادب ، بعكس سكان الصحارى والسهول ... فالجبليون بالرغم من قلة مواردهم يتعلقون بجبالهم ، ويتشبثون بصخورهم الفقيرة الغنية لانها تمدهم بالصور الرائعة ، والخيالات الساحرة ، وان لم تملأ جيوبهم بالمال ، لا يهمهم ان عاشوا محرومين من الثروة ، لان الفنان الاصيل يكره الثروة ويحتقرها ، ويمقت التخمة ، ويهوى البؤس الموحي والفقر الملهم ، ولان التخمة والابداع ضدان لا يجتمعان ، فكم من نعمة افسدت على الشاعر شعره ، وعلى الفنان فنه ، لانه ارتوى .

والسؤال الآن : لماذا كانت المناطق الجبلية اكثر ايحاء من السهول والصحارى ؟ والجواب على ذلك هو ان مشاهد الجبال اكثر تنوعا وتبدلا من مشاهد السهول والصحارى الرتيبة ، اذ لا تكاد تختلف بقعة عن اخرى ، وَلا منظر عن آخر ، فالطبيعة فيهما يكرر بعضها بعضا .

ليس ثمة الوان متغايرة ، ولا اشكال متباينة ، بعكس الجبال ، حيث تتغير اللوحة الطبيعية امامنا في كل خطوة ، حتى لكأننا نشاهد فيها شريطا سينمائيا متحركا ، كل مكان يختلف عن الآخر ، وكل موطيء قدم يتميز عن سواه ، فلا تقارب بين المناظر ، ولا تكرار ... السهول واضحة ، والجبال مبهمة غامضة رهيبة ، والشعر وليد الابهام والغموض ... الشمس التي تشع على الصحارى بقوة تميع التفكير ، وتشيع الكسل والفتور ، وتحد من وثبة الفنان ، فلا ينصرف ذهنه الى ابعد مما هو ظاهر للعيان ، اما الجبال الظليلة فتخصب الخيال ، وتوسع الافق الى ابعد مدى .

لو نظرنا الى لوحتين : الاولى باهتة الظلال والالوان ، تظهر وتوضح كل شيء ، والثانية غارقة في الظلال الكثيفة ، مسرفة في التعتيم ، لأوحت لنا الثانية ما لم توحه الاولى ، فالسهول تشبه اللوحة المسطحة القليلة الظلال ، والجبال تشبه اللوحة الكثيفة الظلال .

السهول والصحارى لوحة فوتوغرافية تشرح كل شيء ، والجبال لوحة زيتية صنعها فنان ماهر في مزج الالوان وتوزيع الخطوط والاضواء ، نقف امام الاولى فلا نطيل النظر ، لانها خالية مما يستوقف ، او يديم النظر مدة اطول ... كل جزئية من جزئياتها واضحة بينة ، تكفي النظرة العجلى ، او اللمحة الخاطفة لفهمها ، ونقف امام الثانية فتتسابق الافكار والتداعيات الى اذهاننا ، لذلك نضطر الى ان نطيل الوقوف امامها ، نبدي ونعيد التأمل ، لان ثمة اشياء جديدة تتكشف في كل نظرة .

ان خلو شبه الجزيرة من الجبال الخضراء الشاهقة ، والكهوف السحيقة القرار ، ووضوح الارض فيها قاد الى

الظمآن

وأعرف أنك بالحب تزخر ... وموجك عطر وشهد وكوثر
ويمتد خلف المدى شاطئاك ... وفي راحتيك الاغاريد تنثر
وحولك تضوى ظلال الحياة ... وكل الفصول انبعاث معطر
وفي قاعك الخصب كل الكنوز ... وأنت من الكنز أسخى وأكبر
ويسكب فيك الضحى ضوءه ... وفي ضفتيك الاصائل تسهر
ولكن ... برغم الذي تحتويه ... وليل الشواطىء حولك مقمر
أكل الزوارق فيك تغني ... وأنت بكل الموانىء تكفر
أترحل لكن بلا غاية ... وأنت لكل النهايات معبر
أتظمأ والافق منك ارتوى ... ووجه الليالي بفيضك أخضر
أجبني ... فان الرياح بقلبي ... تثير العواصف والافق أغبر
وأبصر خلف جفونك سرا ... بكل التفاسير والظن يسخر

البيضاء ـ ليبيا

صابر عبد الدايم

بساطة الخيال عند الشاعر الجاهلي ، الا انه عوض عن الخيال الواسع بالاكثار من الصور الحسية القريبة . لم يتعد خياله البسيط ارض البقعة التي يقطنها ، فوصف كل ما كان يحيط به : الناقة والكلب والذئب والخيمة والنؤي والظبي وحمار الوحش ... واذا لجأ الى التشبيه آثر ان يكون حسيا مستمدا من البيئة ، لان خياله المحدود لم يسعفه للاتيان بالتشبيهات المجردة .

افنستطيع ان نفسر على ضوء هذه الفرضية اتجاه اللبنانيين واكثر السوريين الى الشعر بنوع خاص دون سواه من الفنون الادبية ، واتجاه المصريين الى النقد والتاريخ الادبي والقصص لان هذه الاعمال لا تعتمد على الخيال الواسع ، وانما تعتمد على الفكر الواعي ، والنظر الثاقب والاحاطة بأصول النقد وقواعده ومدارسه .

اننا لا يمكن ان نجزم بهذه الامور ، او نقطع بها قطعا تاما ، وانما نفترض الفرضيات ، ونلقي بوجهات النظر الخاصة التي قد تجافي الحقيقة ، وتفتقر الى الدقة والتقصي والاغناء بالامثلة والشواهد ...

والسؤال الذي قد يطرح نفسه : لماذا لم يعرف العرب في جاهليتهم غير الشعر ، رغم خلو جزيرتهم من الجبال التي تناطح الغيوم ، والاشجار الوارفة الظليلة ؟ أما كان من الطبيعي ان يتجهوا الى النثر كما تقضي هذه الفرضية ؟ والجواب ان الشعر عمل فطري رافق الانسان في زمن مبكر ، فهو قديم قدم الغناء ، ناهيك عن انه لا يحتاج الى معرفة كبيرة ، وفهم عميق بالحياة والمجتمع ، وانه عمل عقلي صرف ، وليس عملا عاطفيا كالشعر . النثر يتطلب قدرا من التفكير والمنطق ، ويحتاج الى قسط من الرقي الفكري ، والتقدم في مضمار الحضارة ، والعرب في جاهليتهم كانوا يفتقرون جدا الى هذه المقومات ، لذلك سبق الشعر النثر عندهم ، وتقدم عليه تقدما ملحوظا ، ولم يظهر النثر الجيد الا بعد ان قطعوا شوطا واسعا في مسيرة الحضارة ، فكان لهم كتاب بارزون كعبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، وابي حيان التوحيدي ، وابن العميد ...

والخلاصة هي ان مسألة الالهام وتنوع الطبيعة تبقى نسبية ، لان الطبيعة الرائعة لا يمكن ان تخلق من غير الموهوب اديبا فذا ، وتبقى عاجزة عن ان تلهمه شيئا اذا لم يكن كل ما فيه ينبض بالعبقرية ، ويوحي بالابداع ... فالطبيعة اذا عامل مساعد ، وليست عاملا اساسيا او حتميا .

دمشق ـ ٤٨ قصور ـ كزبري

عيسى فتوح



محمود الحسنية

من مسار التطور

بقلم محمود الحسنية

* * *

منذ ان دون الانسان الاخبار ، والآثار ، والمواعظ ، والنظم ، والقوانين ، وسائر العلوم المعروفة ، على الطين ، والاجر ، وحفر على الصخور ، وكتب على الرقاق ، واخرج الكتاب طباعة حديثة ، بأبوابه ، وفصوله ، وفهارس موضوعاته ، واعلامه ، وهو يسعى جاهدا ، في تقييد مآثره ، ومكاسبه ، يوليها عنايته ، خوفا من الاندثار ، والعفاء ، فتستمر فعاليتها الحضارية ، وتتناقلها الاجيال سليمة ، وينتفع بها مجتمعه كاملة ، ويورثها بعده ، لمن تقع له ، من قرن الى قرن ، ومن امة الى امة ، بكل امانة وتؤدة .

وهذه المكاسب العلمية ، والحضارية ، المتناقلة ، هي التي ترسم لكل جيل ، الطريق القويم الى سائر انواع المعرفة . واذا تأملنا موضوعات الاعمال الخالدة ، نجد ان الانسان قد اخذها عن مصادر سابقة ، ثم بنى عليها ، وزاد ، وتفنن ، وصاغها في بوتقة علمية ، جديدة مبتكرة ، ظهر فيها علمه ، وفنه ، وفكره ، ومعتقده ، ولا غرو ففي جميع الفنون لا يصور الفنان الا نفسه . كيف لا ! .. اما قال الامام الغزالي ٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ . بأن شرف العلم على قدر معلومه ؟.. واكثر المنجزات الحديثة . ترتكز على اسس سابقة ، وليست تصاميم المراكب الفضائية التي حملت الانسان الى سطح القمر ، ذهابا وايابا ، والاكتشافات العلمية المعقدة ، من نووية والكترونية ، مع الافكار السامية التي ينعم بها الفنان ، والعالم ، والاديب والفيلسوف ، وليدة هذه السبعينات في اواخر القرن العشرين ، بل هي تماما ، كهذا المخلوق الراقي ، الذي تمتد جذوره الى الانسان الاول . اذ كل جيل يتناول من الجيل الذي سبقه ، ويكون مسؤولا ، وقيما على ما تناول وبنى ، وما تسرب اليه من افكار بعلمه ، وبغير علمه ، مستهدفا خدمة الاجيال المتعاقبة .

واطار الكون مغلق على اسرار ، وحقائق ، ورموز ، تتفاعل ، وتتولد بجهد الاوفياء من المفكرين ، الموهوبين ، الذين يفتشون دائما عن آفاق جديدة ، وحقول للاختبار ، تنتج بما يعين الانسان على متاعبه ، ويبدد قلقه ، ويرده الى طمأنينة نفسه ، ويدفع به الى حياة افضل ، لان الحياة هي الحافز المولد للعالم .

وكل جديد نضيفه عندما نؤلف كتابا ، او نسجل عملا غير عادي ، لا يتعلق بالماضي وحده ، فهو كالشجرة المثمرة ، تمتد جذورها وتنمو ، بفعل ما قدم لها ، من حرث ، وري ، وسماد ، تتعالى اغصانها في الهواء ، ثم تكبر ، وتخصب ، وتزهر ، وتثمر ، وتغدق ، ويتضاعف الثمر ، كلما امتدت الجذور ، وتعالت الاغصان ، ويستمر العطاء ، مع استمرار المعاملة الفعالة .

واي فكرة نعدها بعد درس ، وبحث ، ونحاول نقلها الى اكبر عدد ممكن من ابناء الشعب ، في حاضره ومستقبله ، تصبح ظاهرة اجتماعية ، كما نجد ان الحافز الاساسي للتأليف ، والتصنيف ، ونشر الكتب ، يستهدف تقييم التطور الثقافي ، عبر مراحله الثلاث .

وبقوة الارادة الواعية تبنى المجهودات فوق المجهودات ، وتنبع المواهب من المواهب ، ويؤدي الابداع الى ابداع ، وينزع الفكر الى ما هو اكمل ، وافضل ، وارقى ، ويكتنز باستمرار ، في طريق تلتزم بها النخبة المثقفة في كل عصر ، على سطح هذا الكوكب ، منذ فجر التاريخ .

قد يعتقد العالم والاديب ، والفيلسوف ، اعتقادا جازما ، انه ينطق بلسانه ، اقوالا له دون سواه ، ودون ان يدري ، انه يردد علم ، ولغة ، وفلسفة ، وشعر ، ومواعظ ، الذين سبقوه ، وانه يدور ، في فلك عباقرة الاجيال ، وليس اوضح ، من دليل على انعدام الابتكار الصرف ، لدى اولئك المفكرين الامناء ما يصرحون به ، انهم ينزعون الى بحث الموضوعات الغريبة ، لجلاء الرموز ، واستنباط المفيد . والروائع الفنية عندهم ، كذرى

عالية لا يستطيع جديدها ان يسحق قديمها، ويغطيه، وقد وصفها بعضهم بأنها منائر، كل فن ينير السبيل الى الآخر.

وهكذا يتضح انه منذ زمن اكتشاف الحروف الهجائية واستنباطها، الى عالم الذرة، والاقمار الصناعية، هناك ادمغة جبارة، لها دراسات، وابحاث في صميم الموضوعات، سبقت ذلك الاكتشاف والاستنباط.

وذكر المؤرخون انه في حوالي عام ٥٥٠ قبل الميلاد، وضع الجغرافي الاغريقي، انا كسيماندر Anaximender خريطة عالم حوض البحر المتوسط، ودراسات عن قياسات عمق البحر، وتضاريس ارضه، وقد سبقه الفينيقيون الى هذا العمل، الذي طمس، واندثر اثره مع دمار قرطاجة.

وانه قبل ان يستنبط العالم الفرنسي الضرير، لويس بريل ١٨٠٩ — ١٨٥٢ م. الحروف النافرة، التي عرفت باسمه، ولا تزال بخدمة الطالب الضرير، قال ابو العلاء المعري ٣٦٣ — ٤٤٩ هـ. اي قبل « بريل » بما يقرب من تسعة قرون، في السين المكسورة مع الميم:

كان منجم الاقوام اعمى — لديه الصحف يقرأها بلمس

ومن يدرس تاريخ الفلسفة، وعلم المنطق، لا ينسى المعلم الاول ارسطوطاليس، ٣٨٤ — ٣٢٢ قبل الميلاد، ومدرسته الرواقية، التي تأسست حوالي (سنة ٣٤٢ ق‌م)، ولا ينسى، من اخذ عنهم ذلك المعلم. اذ كل ما ينجزه العلم من اشياء معروفة، ثابتة، او زائلة، تستند عند الانجاز الى اسس سابقة، كما ان علوم الكيمياء، مدينة لابي موسى جابر بن حيان ١٢٠ — ٢٠٠ هـ. الذي كان له منزلة رفيعة، في بلاط الرشيد، حيث الف ما يقارب من ٢٣٢ كتابا، وعلماء الغرب لا ينكرون عليه تلك الشهرة، حيث قال مارسلين برتلو ١٨٢٧ — ١٩٠٧، في مؤلفه « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى »: ينزل اسم جابر بن حيان، في تاريخ الكيمياء، منزلة ارسطوطاليس في علم المنطق، فهو اول من وضع في تاريخ الكيمياء، قواعد تعرف باسمه.

اما ما يذكره علماء الغرب، بأن العلوم المتقدمة، هي وليدة نهضتهم في عصر الانبعاث قول فيه من التجاوز، لان العرب هم الذين عرفوا اكثر العلوم ودرسوها قبل ان تستفيق اوروبا، وثقافتهم شاركت، مشاركة عملاقة، في تحقيق الازدهار الحضاري، وحركت عجلة ذلك العصر.

واذا استنطقنا الرسم، وتلك اللوحات الفنية، التي تزين قاعات المتاحف العالمية، وما تمثله من تطور الفكر الفني، عبر عصور حضارية، قديمة، وحديثة، فنرى ان تلك المعالم، قد تخطت، ما انتجه الرسام الاول، دقة، وفنا، وتعبيرا، حيث ابتدأ الرسم في طوره البدائي، يصور المقاصد، والغايات، قبل استنباط الحروف الهجائية، وبعدها اتجه نحو اغراض دينية، وسحرية، ثم اخذ مساره شيئا فشيئا، وفترة بعد فترة، الى عوامل حياتية، من شعب الى شعب، ومن حضارة الى حضارة، حتى اتسع ميدان فنه، واصبح لكل راغب وطالب، تنتقل دقائقه، ومعالمه، من الماضي، الى الحاضر، عبر حضارات، ما قبل المصرية، والفينيقية، والاغريقية، والرومانية، والعربية، والاوروبية. ومساره في هذا النشؤ والتطور، يبقى متباينا، كالمولود الذي يكتسب ملامح الاب، والعشيرة، والبيئة، والعرق، واللون، وتدلنا صورته، عندما يشب ويكبر، الى معرفة موطنه، فنقول: هذا هندي، وهذا ياباني، وهذا عربي...

والابداع الذي يكتشفه الفنان في حقل الرسم، وغيره، مدين به، الى تلك المناهل التي وردها، والآفاق التي جابها، والى الاشخاص الذين منحوه القدرة، على استمرارية العمل، ومواصلة البحث والتنقيب، مع قوة الارادة الخيرة، التي قال عنها المستشرق، ادلر اوف باث ١٠٧٠ — ١١٣٥ م Adeler of Bath بانها اعظم الحوافز الانسانية.

ومع ان الانجازات العلمية تولد انسانية، وان العمل، لا يتصور الا بالعلم، كما عبر عنه اكثر فلاسفة العرب، والعلم والعمل، وسيلتان لسعادة الانسان، فمن المؤسف حقا، ان نرى، مع هذا التقدم العلمي، في شتى حقول المعرفة، طغيان عنصر الشر، على تفكير اكثر العلماء، والعباقرة، حيث ركزوا الاهتمام، وشحذوا القوى العقلية، والفكرية، وساروا وراء سياسة « مكيافلين » من بائعي الضمير، وصنعوا لهم من نبوغهم الشرير، اسلحة ذرية، ووسائل مدمرة، تهدد بفناء كل حياة، على سطح الكوكب الارضي. هؤلاء جميعا زرعوا الرعب، والاضطرابات، في المجتمعات الضعيفة الآمنة، واشاعوا الصوت الجهير، لكل قوة غاشمة، وجعلوا العالم يسير في ركاب مدنية زائفة، مضللة، تغذي الشر، وتزرع الحقد، وتعمل على مسخ القيم، وتقويض الايمان.

ومع هذا الجو القاتم، المضطرب، المشحون بالقلق النفسي، ومع ما يرافقه من صراع دولي على النفوذ، وسباق على تخزين وتكديس كل انواع الاسلحة، المتطورة، المدمرة، بات الانسان يضرع الى الله، بأن يحمي جنسه من الفناء، وحضارته من العفاء، ويجنبه نتاج عباقرة الشر.

محمود الحسنية

اسرار العلاقة

بين الشريف الرضي وزكي مبارك

بقلم عدنان البلداوي

* * *

شاعت المذاهب الادبية وتشاء في كل عصر من العصور ان تخلق جوا من العلاقات الودية بين عشاق اللغة والادب وعلى مختلف المستويات ، ولا يخفى ما حدث ويحدث في المجالس الادبية من علاقات شخصية تتفاوت قوتها على حسب ما تقتضيه حالة الشخصية ، ونوعية النتاج الادبي ، ولعل الذي يؤكد فعالية المذاهب الادبية ، وقوة اثرها واستمرارية امداداتها للصداقة بالحياة والادامة ، هو غرض مشيئتها في خلق هذه العلاقات متحدية بذلك كل الموانع التي قد تعترض ارادة تلك المشيئة .

ولكي نتبين حقيقة تلك الارادة لا بد لنا من الوقوف قليلا عند بعض العلاقات الادبية ولتكن هذه العلاقات على سبيل المثال من عصر القرن الرابع الهجري ، لعلاقة هذا العصر بشخصية البحث الذي نحن بصدده ، ولان ما اخترناه من هذه العلاقات خير مثال يتوضح من خلاله اثر المذاهب الادبية في غرس المحبة والود والتقدير .

والعلاقات التي نقصدها هنا كانت بين اديبين تباعدا في السن اولا واختلفا في الدين ثانيا . وهما ابو اسحق الصابىء الذي (عرض عليه عز الدولة ان يسلم فامتنع) والشريف الرضي الذي كان نقيبا للطالبيين واماما للاشراف في عصره . الاول كان في سن الثمانين ، والثاني لم يتجاوز الثلاثين ، وكلاهما كان من فحول البلغاء والمتكلمين ومن ابرز الشخصيات الادبية في ذلك العصر ، وكانا ممن استعظم الخلفاء امرهما ومكانتهما السامية في المجتمع ، ورغم اختلافهما في بعض القضايا ولا سيما في الدين ، فقد شاءت المذاهب الادبية التي اتفقا عليها ان تجعلهما يلتقيان باسم الادب والاخلاق ، وشاءت ايضا ان تجعل علاقتهما مبنية على اساس من الثقة والاعجاب والتقدير والاحترام .

حدثت هذه العلاقة والاديب يرى الاديب ويتحدث اليه ، ومرت الايام وشاءت المنية ان تختار الصابىء ففجع الرضي بموته وكان حزنه عليه لا يوصف ، ورثاه بداليته المشهورة واولها :

اعلمت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي

ومات الرضي فكان حدثا مروعا في عالم العلم والمعرفة ، وبعد مرور الف عام على وفاته شاءت المذاهب الادبية من جديد ان تنشىء علاقات فكرية وروحية اصيلة بينه وبين الدكتور زكي مبارك ، بعد ان تهيأت الفرصة ليعثر الثاني على كنز الاول ، ذلك الكنز الذي زين به الصابىء متحفه الادبي حتى ظل بعده بألف عام ينتظر يدا تستحق الغوص فيه فكانت يد مبارك احق في جواهر ذلك الكنز ... وبدات الصداقة وكان حدوثها صدفة خلقها شعر الرضي ، وقد اعتز زكي مبارك بهذا الحدث وقدسه واطلق عليه مصطلح (الفرصة الذهبية) ... ولعل سؤالا من اسئلة كثيرة يفرض نفسه في هذا الموضوع وهو : لماذا لم يعقد زكي مبارك صداقة ادبية مع ادباء آخرين عاصروا الرضي ، لا سيما وان الكثيرين منهم يمتلكون مواهب وقابليات خاصة ويتمتعون بمنزلة اجتماعية محترمة ؟

يبدو ان زكي مبارك قد طرق ابواب الادب فناداه الادباء على مختلف مستوياتهم وتحدثوا معه على صفحات مؤلفاتهم ، ولعله توغل في اعماق حياتهم ليستكشف الحقيقة ، ولكنه بعد ان استعرض ادبهم ، لم يجد ترجمة لحياته وشخصيته الا في شخصية الرضي ، كما انه لم يجد اجوبة شافية لاسئلته الملحة الا في حقيبة الرضي .

ومما زاد في ايمانه بتلك الصداقة هو حب الكثيرين للرضي في زمانه وبعد زمانه ، فقد وجد العباقرة يحبونه ، لانه رفع عنهم جهودا شتى بعبقريته ... ووجد المثقفين كذلك لانه موسوعة علمية وادبية اغنت التراث وشغلت الناس ... وكذلك البلغاء لانه هيأ لهم نهجا سليما للبلاغة في ارقى درجاتها ...

والعشاق لانهم وجدوه عاشقا عفيفا هيأ لهم قصائد الوجد والصبابة ... وكذلك الاوفياء لانهم وجدوه رمز الوفاء والاخلاص والمحبة ... ووجد البائسين كذلك يحبونه لانهم وجدوا في اعوام بؤسه ما يقوي هممهم ويبعث في نفوسهم الامل ... ووجد الطامحين كذلك لانه خلف لهم قصائد الفتوة والطموح ، ورسم لهم طريق الوصول الى القمم الشماء ...

وجد زكي مبارك كثيرا من المعجبين بالرضي اينما تلفتت عيناه ... وبدأ حبه ينمو بسرعة فائقة ، كلما عثر على حقيقة من حقائق الرضي حتى وصل الى حب العظماء للعظماء .

فماذا وراء ذلك الحب ؟ ... لعل دوافع كثيرة تكمن وراءه وقد يكون منها ما يأتي :

١ ــ حبه الشديد للطموح ونيل المعالي وتلك كانت غاية الرضي وهدفه في الحياة ...

٢ — اعجابه بذوي المواهب المتنوعة والملكات العجيبة ، والرضي كان من ابرز هؤلاء واشهرهم ...

٣ — حبه للادب الرفيع المعبر عن الذات بصدق واخلاص ، والبعيد عن الزيف والمجاملة وهذا ما تميز به ادب الشريف الرضي ...

٤ — تقديره العظيم للشخصية المثالية المتكاملة ، وتلك كانت شخصية الرضي ...

٥ — لعله وجد في بعض جوانب حياة الرضي تعليلا شافيا لما عاناه في حياته التي كانت قريبة الشبه في تلك الجوانب بحياة الرضي ...

٦ — بغضه للتملق ، والخضوع ، والمجاملة المزيفة ، وتلك كانت من طباع الرضي .

٧ — ايمانه الشديد بأن العلم هو المترجم الحقيقي للشخصية وليس المظاهر بمختلف انواعها وهكذا كان ايمان الشريف الرضي ...

٨ — لم يسخر قلمه الا لخدمة الحقيقة والدفاع عنها وكان قلم الرضي في خدمة ذلك ...

وبعد ان تأصل هذا الحب في قلب زكي مبارك راح يفتش عمن توغل في دراسة شخصية الرضي الفذة ، وعمن غاص في اعماق هذا البحر الزاخر الذي سمع امواجه من بعيد تعزف للعلماء والادباء والشعراء ، فلم يجد من الادباء من خاض تلك التجربة ... وحين وجد نفسه تتوق الى كشف الحقائق ، والتعرف عليها رأى ان الغوص في الاعماق لا بد منه للوصول الى تلك الحقائق وبعد ان امسك بروائع الرضي ، اطلق العنان لقلمه كي يكتب ما يشاء عن الصديق العبقري ... كتب وكان صريحا وواقعيا فيما كتب ، وان كان انفعل انفعالا شديدا في بعض المواضع من كتاباته ... وهو اذا كان قد بالغ في بعض صفات صديقه ، فليس الرضي ممن لا يستحقون المدح والثناء ...

ولعل زكي مبارك قد استخدم اقوى المعاني واشدها تعبيرا عن شعوره تجاه الرضي ... ولم يكن ذلك عبثا منه او لهوا فقد كتب بعد ان خاض مع الرضي تجربة سنين طوال ... عرف من خلالها نفسيته واحواله الخاصة والعامة ... وتلك كانت طريقته في دراسة الشخصية كما هو في قوله : « تلك خطتي في التأليف فأنا اهتم بارتياد المجاهل من حيوات الشعراء ، واجري على التعرف الى ما عندهم من ميول واذواق واهواء وأنا بكل صراحة اعتقد ان لا بد للناقد من ان ينسى شخصيته ويفنى في شخصية الشاعر الذي يدرسه بحيث يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفقه بعقله ليسبر اغوار نفسه ويرى مبلغ شعوره بما وصفه من الاشياء ... » .

وبعد ان سبر اغوار نفس الرضي وعرف حقيقته ووجد شخصيته تستحق الاجلال والاكبار ، لم يجد انفعالاته او مبالغاته لصفات صديقه الا في مكانها المناسب ...

وبعد ان قوي ايمانه بتلك الصداقة ، وملك الاعجاب قلبه كان لا بد لكلمات الاعجاب والتقدير ان تزدحم في صدره وتتهيأ للخروج ، كي تملأ بنغماتها اسماع المعجبين بالرضي وقلوبهم ... ولم تكن الكلمات التي ترنم بها زكي مبارك تجاه صديقه وليدة ساعتها ، فقد بقيت في معين الحب الصادق والاعجاب العظيم حتى تهيأ لها ان تخرج بعد ان اذن لها خالقها ، لتعلن عن اصالة الحب والوفاء والاعجاب والتقدير والتقديس لتلك الصداقة الموقرة ...

هي كلمات قيلت بعد ان تحرى صاحبها جميع الحقائق عن صديقه العبقري ، فوجد ان قد آن الاوان ليطلق حكمه الاخير بقوله :

« سايرت الشريف مسايرة الصديق للصديق . فان آمن آمنت ، وان جد الشريف جددت ، وان لعب لعبت ، ان عقل الشريف عقلت ، وان جن جننت ، ان قال الشريف ان غاية الرجل العظيم هي الحرب قلت صدقت ، وان قال : ان الحياة هي الحب قلت : والحب حياة ! ... » .

بغداد — **عدنان البلداوي**

الانذار الاخير

ألست حبيبتي فلم الصدود	دلال أم ملال أم جحود
اذا أنكرت حبك لي فعندي	لقاضي الحب في الدعوى شهود
لدي أجل لدي وأنت أدرى	بما عندي وما حمل البريد

بغداد ص.ب ٤٦٧ — باقر سماكة

نماذج من نثر قابوس :

*

رسالة في التكنية

التكني عند جميع الناس جلالة ورفع ، واذا نقرت عن حقيقته مهانة ووضع .

فأول ما فيه ، ان الانتساب الى الابناء منقصة واي منقصة للآباء . وان كان الابن قد جاوز المجرة بجلالة الخطر ، واستعلى بسمو القدر على الشمس والقمر ، لانه تقديم الاخير على الاول ، وتفضيل المفعول على الفاعل ، وهذا حكم منكوس وترتيب معكوس ، فنسب الآباء الى الابناء ، كنسب النار الى الرماد .

والثاني ، ان لم يكن الرجل ولد بذلك الاسم ، او كان الرجل عقيما أليس يكون في دعواه كاذبا زنيما ، والكذب من اقبح الخلائق باجماع جميع الخلائق .

والثالث ، ان التكنية رسم حدث في ايام ملوك العجم ، ورقم ، فتسنح من ذلك الرقم اذ كانت عندهم رهائن العرب ، وآباؤهم يغشون اولادهم ، لهذا السبب ، فكان يقال : قد جاء فلان ابو فلان وابو فلان ، اي ان هذا والد فلان وذاك والد فلان ، ليعرف ولد كل رجل بأبيه ، فلا يعترض من الاشتباه فيه ، فلما دارت الايام على ذلك صارت هذه النسبة رتبة لاولئك .

رسالة الى نايب له في بعض النواحي

امرتك اعزك الله بالصواب فخالفته ، ونهيتك عن الفساد فجالبته ، كأني قد صرت في قبضتك اسير ، او انت على امري امير ، فان كنت ما علمت فاني معلمك انه لا يوجد في بيضة واحدة فرخان ، ودلوان في محصنة خاصة لا يكونان ، واميران في بلدة لا يجتمعان ان كنت يا هذا من قبلي غائمر لي ، وان كنت من قبلك فأمر بي .

فصل تعزية

حشو هذا الدهر ــ اطال الله بقاء مولاي ــ احزان وهموم وصفوة من غير كدر معدوم ــ فما أولاه ــ ايده الله ، بان يتأمل احواله ، ويستشف ضروبه واحكامه ، فان وجد احدا سلم من وجد او عرى من فقد ، لقي خلاف المعهود ، وحق له التأسي على المفقود ، وان علم ان الخلف فيه شرع ، وان الباقي للماضي بقع ، قدم عن السلوة والصبر ما لا بد من المصير اليه آخر الامر ، ليحصل له الثواب والامر .. والسلام .

نماذج من شعر قابوس

نكب قابوس وازيل عن ملكه فقال :

لئن زال املاكي وفات ذخائري	واصبح جمعي في ضمان التفرق
فقد بقيت لي همة ما وراءها	منال لراج او بلوغ لمرتق
ولي نفس حر تانف الضيم مركبا	وتكره ورد المنهل المتدفق
فان تلفت نفسي فلله درها	وان بلغت ما ترتجيه فاخلق
ومن لم يردني والمسالك جمة	فأي طريق شاء فليتطرق

وقال :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا	هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف	ويستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا	ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عدد	وليس يكسف الا الشمس والقمر
علي دفع الاعادي من اماكنها	وما علي اذا لم يسعف القدر

ومن غزله

لا عضو لي الا وفيه صبابة	فاحس منها في الفؤاد دبيبا
خطرات ذكرك تستثير مودتي	فكان اعضائي خلقن قلوبا

رفيق عطوي

قصة

رسالة حب

بقلم جمعه محمد جمعه

اليك ..

اكتب كلماتي ، وقد امتزجت في خيالي بكلماتك ، كما في الحياة يتباين الناس في اخلاقهم ، وصفاتهم ، وطباعهم .. كذلك تتباين الكلمات الخارجة من افواههم .. هناك الكلمة الرقيقة ، وهناك الكلمة العنيفة .. الكلمة الطيبة ، والكلمة السيئة .. الى آخر ما في قاموس الافواه من كلمات .. ولقد احسست ان كلامنا له طعم خاص .. تمتزج فيه الحلاوة ، والبراءة ، والصدق ، والنبل ، والاخلاص .. لم نأت بجديد من الكلمات .. وانما الجديد والجميل اننا اسبغنا عليها من روحنا ، وانفاسنا ، واخلاصنا .. فكان لكلامنا طعمه الخاص ، ورائحته الزكية ، ولونه الوردي ..

اليك ..

اكتب كلماتي ، واستعير من كلماتك .. : « اخي المحترم ، اخي العزيز ، صديقي العزيز ، عزيزي .. » .. هكذا تدرجت بدايات رسائلك تدرجا املاه تطور دافيء في المشاعر .. مشاعر صادقة تقترب بنا رويدا رويدا من الكلمة العزيزة .. اتعرفينها !!

اليك ..

اكتب كلماتي ، وقد تداخلت في خيالاتي الالوان ، فالالوان هي الاخرى تتباين كالناس ، كالكلمات ، فهناك الاحمر ، والازرق ، والاخضر .. الى آخر ما في الوجود من الوان ، وكان اول لقاء عفو الخاطر بيننا قولك في رسالتك الثانية .. : « لماذا كتبت باللون الاحمر ، اني لا احبه .. » ثم قولك في رسالتك السادسة عشرة عن اللون الاحمر .. : « انه يوحي بكل ما هو خبيث .. بالمعارك مثلا والحروب واسالة الدماء .. كما يذكرني ان النار حمراء وجهنم كذلك .. » .. بلاغة ما بعدها بلاغة ، وطلاقة ما بعدها طلاقة ..

وهذا ينفي ما قلته عن لغتك في اكثر من رسالة .. « انا اشتغل في مدرسة فرنسية .. لهذا فاني فقدت حتى النطق بالعربية .. فاذا كاتبتك يمكن لي ان اترقى ولو القليل في اللغة والكلمات والتعبير بالعربية لغة اهلي واجدادي .. » ولعل انطلاقك في رسائلك الاخيرة برهان اكيد على عودتك الى لغة اهلك واجدادك .. ورغم اننا لا نحب اللون الاحمر فاننا نتفق على حبه في الزهور ، وقد شرح صدري قولك في ذات الرسالة .. : « انني في هذا الصباح قطفت من حديقتنا وردة حمراء واكتب اليك الآن وهي امامي ، انا احب الورد الاحمر لانه جميل ، ولكن دوامه قصير للاسف .. » .

اليك ..

اكتب كلماتي ، وقد امتزج ماضينا كل الامتزاج رغم اني في الشرق من محيط دائرة امتنا وانت في الغرب على نفس المحيط .. اننا نذكر الاستعمار دائما ولكن بالسوء لما غرسه فينا من مساوىء كقولك في رسالتك السابعة .. : « اتخذ الناس عادة ان يسهروا خارج ديارهم كما كان يفعل الاجانب ايام الاستعمار .. فالكل يلبس ما عنده من ملابس وحلى فاخرة ويخرجون الى الشارع الرئيسي حتى تدق ١٢ ليلا ، وهنا يتبادلون التهاني بالعام الجديد .. » ..

شاهدت عيني كلمة عزيزة تعلن عن نفسها بين السطور ولم تجد الجراة حتى الآن لتخرج الى النور .. وأراك اوقفتها في حرج وانت تقولين في ذات الرسالة .. : « فقل لي ما يليق ، وما لا يليق ، فأنا لا اهرب من الواقع وانت ادرى بي من (لا اجد الكلمة ..) أرايت !! انها موجودة في اعماقك متى تفصحين عنها ؟

اليك ..

اكتب كلماتي ، وقد اخذ الشروق يتغلغل في الظلمة ، والظلمة تنقشع وتتلاشى وكل منا يفكر في الآخر في نفس الوقت ، وربما في ذات اللحظة ويشهد على ذلك قولك في رسالتك العاشرة .. : « والساعة حوالي الواحدة والربع صباحا ، اكتب اليك ثانية لانه ليس عندي ما افعله » .. كذلك جاء قولك على نفس الوتيرة في الرسالة السابعة .. : « اكتب اليك والساعة تشير الى الحادية عشرة والنصف ليلا من اليوم الاخير لهذه السنة المباركة فغدا سنة جديدة لا نعرف ما يخبىء لنا القدر في طياتها .. » .. كلانا يحيا الليل ينتظر بشوق فجرا جديدا .. كلانا يسهر مفكرا فيما رسمه القدر .. وامتدت خيوط الحرير من شرق ومن غرب لتصنع لنا ثوبا جميلا رقيقا يضمنا معا ..

اليك ..

اكتب كلماتي ، وارى الكلمة العزيزة وقد خرجت من شفتيك تقف على لسان قلمك في رسالتك التاسعة عشرة .. : « اقول لك حاجة وهي انني بدأت افكر فيك اكثر من اللازم ولا ادري لماذا ؟ .. » .. ثم يأتي

البلغارية

يا بنت « صوفيا » والزمان البليد
أحال قلبي حفنة من رماد
يا ليت شعري ، أي سحر يعيد
حرارة الروح لبرد الجماد

البصرة سالم علوان الجلبي

في استهلال رسالتك الثالثة والعشرين .. : « تجدني امسك القلم واكتب لك دون ان اشعر .. ».

واقول انك تشعرين بما اشعر به وانا اكتب اليك ، تشعرين بالسعادة، بالخيال يسيطر على افكارك ، بالاشواق تجري المداد على الورق ، بالامل يحبو فوق السطور ، تشعرين بي في كيانك كما اشعر بك في كياني ، هذه المشاعر لم تأت من فراغ ، ولم تذهب هباء ، فانني ادعوك لنجلس معا على كرسي الاعتراف ..

اليك ..

اكتب كلماتي ، وقد ذهب عنك المتطفل الذي اهداك قلبا من ذهب ، وقد بدأ يزعجني كما ازعجك انت ايضا .. واذكر اعترافك المغلف في تلك العبارة التي اضحكتني كما كنت تضحكين وانا معك في رسالتك الرابعة والعشرين .. : « فرددت له ذلك القلب ، واضحك وانا اقول لك انني لا اريد قلبا من ذهب ، ولكن قلبا حقيقيا .. بماذا تجيبني انت !! » .

لقد جلسنا معا على كرسي واحد للاعتراف ، بعد اربع وعشرين رسالة منك الي ، ومثلها مني اليك ، وبعد مضي عام كامل على اول رسالة تصلني منك .. اتذكرينها ! انها تلك الرسالة التي جردتني من كل قواي .. وان نسيت اي شيء ، او نسيت كل شيء ، فاني لا انسى كلماتها .. وها انا انقلها من الذاكرة والخيال معا .. : « ابعث اليك بهذه السطور من مدينة ... واتمنى ان اتلقى جوابا في اسرع وقت.. حينذاك سأقول لك من انا وكيف لي بعنوانك !! مع اجمل التمنيات .. ».

هكذا ترين كلماتك تعيش في خيالي كما يعيش خيالي داخل رأسي واقول لا خلاص ، وما اجمل ان اقول لا خلاص من السعادة ، من الهناء ، لا خلاص من الحب الجميل .. لا خلاص الا بالاعتراف كأسير حب ..

اليك ..

اكتب كلماتي ، وقد وضعت الاقدار الكلمة العزيزة فوق شفاهنا لحنا ملائكيا جميلا ، ولدت املا جديدا متجددا ، ولدت الكلمة العزيزة ، نفخ فيها خالقها ويرعاها بعنايته الفائقة .. وقد قلنا في رسائلنا ما في انفسنا لانفسنا ، وانني لاردد معك ما قلته في رسالتك التاسعة : « ربما كنت لم ابح بهذا لاحد ، لانك انت .. لهذا قلت كل شيء ، ولم يبق عندي شيء .. » .

اذكر انه استوقفني في الرسالة الثالثة والعشرين قولك .. : « لقد قرأت كتابا جميلا بالفرنسية عنوانه (الخوف من الحياة) » اختار منه بعض العبارات التي كانت ترجمتك لها رائعة ..

« ان الارض في دوامة لانه لا يوجد انسان في هذا العالم يفكر بقلبه

لا تضرب المرأة ولو بوردة جميلة

ان الجمال له حق شريف ، ولكنه يمكن ان يحطم كل شيء ويعيده بالبناء ولكنه يترك ذكرى للمستقبل ليجعل منها صفحة من ذلك الماضي الجميل . ولكن الاقدار لا يمكن ان تبقي للجميل ولا لغيره الا املا في ان يدوم ، ونرى دائما الذي نحبه ، والحاجة التي نحبها تذهب منا قبل الاوان » .

دعيني اقول لك لا خوف من الحياة .. دعينا نعب من كؤوس السعادة التي تملؤها لنا الاقدار .. دعينا ننتظر ونحيا والامل بين جوانحنا حي يقظ ينمو ويكبر ، فأمل كنا في بطون امهاتنا ، وامل كنا في عيون اسرنا ، وامل نحن الآن في فكر وروح .. اقول لا خوف من الحياة ما دامت حياتنا املا من الازل ، والى الابد .. لقد التقينا وتآلفت روحانا وتعانقت مشاعرنا .. كل ذلك دون ان يرى احدنا الآخر فصورتك لم تصلني ، وصورتي لم تصلك ، واني لأسأل بعد عام مليء بالحب والدفء والسعادة : هل يمكن للصورة ان تغير فينا شيئا ؟ اخشى ما اخشاه ان يكون هناك تباين بين الكلمة والصورة ، وغاية ما اتمناه ان تنتصر الكلمة .. خاصة وانها اليك عزيزة ، ومنك عزيزة ، وخلقها الله لتكون عزيزة ..

مع نومي وصحوي اهديك نبضي كانسان .

القاهرة جمعه محمد جمعه

مكتبة الاديب

جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين

تأليف عنبرة سلام الخالدي — ٢٢٠ صفحة — دار النهار للنشر في بيروت ١٩٧٨

لقد صح في هذا الكتاب ما قاله الاديب البريطاني « أرنولد بنيت » المشهور، وهو : « اي كتاب تتناوله لتطالعه فانت قد تناولت ثلاثة اشياء معا بين دفتي ذلك الكتاب : تناولت فكر المؤلف وذهنه ، وتناولت اسلوبه وطرائقه في الاعراب عن فكره وذهنه ، واخيرا تناولت الجسد المادي للكتاب ، وهذا الشكل المختار ليكون جسدا للذهن والفكر والاسلوب ، من المفروض ان يكون بجمال صناعته بردا قشيبا » .

واذا تساءلنا عما حدا المؤلفة على تدوين ذكرياتها ، وجدناها قد أعربت عن هذا ، اذ قالت في المقدمة ص ١١ ما يلي وننقله بتمامه :

« أحب قبل ان ابدأ هذه الجولة من ذكرياتي ، ان اوضح ان ما ارمي اليه فيها ليس سرد يوميات او تاريخ سيرة لعائلتي او لحياتي الخاصة ، كما يفعل مؤرخو ما يسمى (السيرة الذاتية) ، بل قد يكون تاريخا لمعالم عصر عشته بذاتي ، وصورة حية لحوادث واحداث اجتماعية وسياسية شهدتها بنفسي ، ولا بد من ان تتخللها حوادث عائلية او شخصية ، لانني لا اقدر ان افصل بين الايام التي امضيتها في بيئتي وفي مختلف اطوار حياتي ، وبين المحيط العائلي الذي نشأت فيه ، وقد تتشابك الحوادث السياسية والاجتماعية ، فيرد ذكرها تبعا لسردها الموضوعي وليس لموقعها الزمني ، وقد يفوتني ذكر امور هامة مرت بي ، لانني لم التزم في حياتي كتابة اليوميات التي كان بامكاني الاستعانة بها ، كما ان الكثير من اوراقي الخاصة اتلفتها عمدا حينما سيق والدي مرتين الى الديوان العرفي الذي اقامه الاتراك في عاليه لمحاكمة احرار العرب ، ثم فقد بعضها الآخر ، بعد ذلك ، حينما كان الجيش الفرنسي ، ايام الانتداب ، يداهم بيتنا ليفتش عن اوراق قد تدين والدي ، فيبعثر ويمزق ويأخذ ما يشاء . ثم ضاع الكثير منها حينما تركتها في بيروت وذهبت لسكنى القدس ، بعد زواجي سنة ١٩٢٩ وأتت هجرتنا من القدس ، بعد الحرب الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ لتقضي على البقية مما كنت احتفظ به من اوراق شخصية مدة عشرين عاما قضيتها في فلسطين .

وكل ما ابتغيه من كتابة هذه الذكريات هو ان اضع بين يدي الاجيال الطالعة بعضا من معلوماتي عن جيلنا ، وما مر به من حوادث واحداث » .

هذه الذكريات ، لا المذكرات ، او هذه الصفحات ، تمتاز باشياء جمة ، كلها محاسن عالية المستوى ، نرى من المفيد للثقافة العربية ، ان ننوه بها على صفحات « الاديب » ، مجلة المثقف العربي والمثقفة العربية ، في عالم الضاد . على الا ينسى القارىء والقارئة ان هذا الكتاب بمحاسنه هذه يستوي في الاستمتاع بقراءته الجميع على السواء ، من رجال ونساء ، وشبان وفتيات :

هذا الكتاب في بابه فريد ، ويدور في فلك وحده . ونحاول الآن ان نذكر بعض هذه النواحي .

هو على الجملة قصة الاديبة الكاتبة الكبيرة عنبرة سلام الخالدي ، الغنية عن التعريف . ونقول « قصة » ، ولا نعني الا ما اطلقت عليه اسم « ذكريات » ، ايثارا على « مذكرات » ، وذلك يعني كما قالت المؤلفة ، « حصيلة اعوام عديدة مختلفة الاشكال ، متباينة الظروف ، نسائيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ثم سياسيا » تروي فيها قصة حياتها ، والحياة لكل انسان ، مؤلفة من حلاوة ومرارة، كتركيب الماء من عنصري الهيدروجين والاوكسجين . ولكن العبرة في ما اصابت المؤلفة من حلاوة ومرارة في مراحل حياتها ، لا بالحلاوة ولا بالمرارة من حيث هما ، فكلتاهما من عوارض المراحل ، والمراحل التي تبدل وتغير باستمرار ، بل العبرة بما وهب الله السيدة الكريمة عنبرة من موهبة العقل الراجح المنير من جميع جوانبه ، فنراها تهتدي بهذا المصباح ، ويتجلى ذلك في كل قطعة مهما تكن صغيرة من مراحل حياتها . والعقل الراجح له خواصه في التبرير وعلاج الامور . فالكتاب يعطيك اجمل نموذج من هذا : احكام عقل سيدة عربية ، طيبة العنصر من نبعتي والديها ، واسعة الافق الثقافي ، وقفت على الحضارتين وجمعت بين حسنييهما .

هذه الصفة الاشراقية في المؤلفة ملازمة لها ابدا . فلم يكن الاشراق آنا ثم يغيب . وبهذا الاشراق الدائمي ، حتى كانه صدى الفطرة ، كانت السيدة عنبرة سلام الخالدي تعلو على كل حلاوة ومرارة مرت بها ، ثم تعود الى عقلها الهادىء الرصين .

بل في رأينا ، يتجلى هذا في اسلوبها الكتابة ، لان الاسلوب صورة الذهن كما قال العرب وقال ارنولد بنيت . فاسلوبها هو هو من حيث سهولة التناول ووفرة الانسجام .

اعبارتها روحانية في بعض المواضع جد ساطعة . ولا دخل لها في تركيب الكلام او العبارة ، بل هي شيء آخر بالمرة . وهذه الروحانية منبعثة من الكاتبة نفسها ، وهذا تماما غير زخارف البيان والبلاغة .

متى ما فرغت من مطالعة الكتاب ، وجدت ان السيدة عنبرة كانت معك بالغة حدود الصراحة ، والصراحة عندها حقيقة . لا تستجيب الا الى احكام العقل ، لا العادات التي لا جوهر فيها ولا لباب .

وكانت المؤلفة العالية المقام(1) عالية المستوى الذوقي جدا لما اعلمتنا ، ما لم نكن نعلمه على مستوى القراء ، من انها كانت مخطوبة في شبابها ، وهي في السادسة عشرة او السابعة عشرة ، الى من نخبرك عنه الآن ، وذكرت هذا في فصل عنوانه « ارتباطي بخطبة لم تتم » ولكنها لم تذكر اسم هذا الخطيب المكرم ، فورا ، كما يتبادر الى ذهن القارىء ، الا بعد ان ذكرت وصف سيرته الوطنية سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤ وهو في المعترك القومي قبيل الحرب العامة ، اجلالا لذكراه ، الا وهو الشهيد عبد الغني العريسي الذي علقه السفاح في بيروت سنة (١٩١٥)

---

(1) نشرت المؤلفة مقابل ص ١١٢ رسمين لها في صفحة واحدة نشرا رشيقا جدا ، الاول وهي في زمن الصبا والآخر وهي في سن عالية مباركة ، وقالت تحت الرسم الاول « المؤلفة في العشرين » ونشرت تحت الآخر « ... وفي الثمانين » فانظر الى رقة الاشارة بهذه الشارة .

مع رفيقيه الشهيدين عارف الشهابي وعمر حمد(2) وغيرهم من قافلة الشهداء الاولى رحمهم الله . هذه الحادثة الخاصة دونتها المؤلفة في نحو من (٥) صفحات ، ولكنها لم تنتقل توا الى ما يتوقع القارىء ان تخبره به عن زواجها الذي تم ببركة الله سنة ١٩٢٩ من المربي العربي الكبير الاستاذ احمد سامح الخالدي (القدس) وانما فعلت هذا على مقتضى سياق المراحل ، بعد اكثر من (٧٠) صفحة .

المربي الكبير احمد سامح الخالدي ، اذا عد رجال التربية العربية على الاصول الحديثة ، كان في طليعتهم ، لا ريب في هذا ، وهو من طراز امام فن التربية ساطع الحصري رحمهما الله . وللاستاذ الخالدي من المؤلفات القيمة المطبوعة والمخطوطة ما يملأ رفا في المكتبة . وفضائله الشخصية والقومية لا مكان لبحثها هنا ، وانما قصدنا الاكتفاء بهذه الاشارة اليه ، من قبيل التحية واستنزال الرحمة عليه . حياة السيدة عنبرة في فلسطين كانت نحوا من عشرين سنة ، ثم كانت سنة الانهيار ١٩٤٨ فانتقلت الاسرة جمعاء الى بيروت ، وبعد بضع سنين اختاره الله الاستاذ الخالدي الى جواره ، والسيدة عنبرة قرينته في لندن . فكانت خسارته على امته عظيمة ، وعلى قرينته الفاضلة واهلها واهله واهل العلم والادب .

في مجال الجولان في شتى المواقف الشجاعة وكلها رباطة جاش ، تلك المواقف التي كان على المؤلفة ان تقفها ، معتصمة بالله تعالى وروح الحق ، موقفها من السفاح احمد جمال ، لما جعل يحاورها بدهائه وغطرسته في بيروت ، يريد اقناعها بأن تقبل منه اقتراحه عليها وهو ان تجتمع « وخالدة اديب » اولى اديبات الترك المشهورة . والقصد من الاجتماع في ظاهره ان تتبادلا بينهما تعلم اللغتين العربية والتركية ، واما الغاية المقصودة فهو العمل للبرامج الطورانية ، اذ كانت تركيا تريد وتأمل ان تخرج من الحرب ظافرة . واني ادع الجواب الذي تخلصت به عنبرة من الطاغية الجبار الى القارىء يقرأه مفتخرا بهذه الفتاة العربية التي اظهرت امامه من رباطة الجاش والعقل الكبير ما يقضي بأعجب العجب .

ذكرت المؤلفة الفاضلة في ص ٨٦ تحت عنوان « الخطر الاصفر » في نحو صفحة ذكرا عاما لما يتعلق في سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤ بالمشروع الذي عرف وقتئذ « بمشروع نجيب الاصفر » . كان « نجيب الاصفر » وهو يهودي عرقا ، او عميل يهودي غارق في الصهيونية ، مدفوعا من قادة الصهيونية في الآستانة ان يتظاهر بقيامه بمشروع استثماري زراعي ، وهو ما يسمى « بالاراضي المدورة » في غور بيسان في فلسطين وهذه الاراضي الواسعة الخصبة مساحتها بملايين الدونمات . واظهر نجيب الاصفر هذا المشروع بانه مشروع عمراني محض لخير البلاد ، ولا ذكر للصهيونية الا من قبيل استثمار الاموال في المشروع . ولما تنبه العرب الى ان وراء الاكمة ما وراءها ، وكانت « الجمعية الاصلاحية » في بيروت قد ضخم نفوذها وتفاهمت مع اخوان لها ولجان عاملة ، في سوريا والعراق ومصر ، اخذ احرار العرب ، وخاصة في بيروت ، من الشهداء عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني واخوه محمد ، يثيرون الكتابات الصحفية العنيفة والاحتجاجات الشديدة ، مطالبين بابطال المساعي في سبيل هذا المشروع المقصود به « الاراضي المدورة » في غور بيسان . واتصل احرار العرب بالنواب العرب في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) وقامت قيامة اهل شمالي فلسطين حضرا وبدوا مستنكرين ودامت المشادات حول سنة حتى اضطرت الدولة الى الاعلان ان هذا المشروع قد الغي من البحث .

اما « الاراضي المدورة » ، فهي كانت املاكا لعبد الحميد وتسمى « بالجفتلك » فلما خلع سنة ١٩٠٩ سجلت المزارع السلطانية التي كانت للسلطان عبد الحميد ، باسم الخزانة للدولة ، والمكيدة المدبرة في الآستانة على يد « الاتحاديين » المتهودين والصهاينة ان تطرح تلك الاراضي بالمزاد العلني واسمها الآن « الاراضي المدورة » اذ دورت (بتشديد الواو) من (جفتلك الى مدورة) .

ومن ابطال العمل في مقاومة المشروع ما عدا من ذكرنا الشهيد عبد الكريم الخليل رئيس « المنتدى الادبي » في الآستانة . وشاركت البصرة وبغداد حق المشاركة . هذا كله بايجاز . وكان صديقي القاضي عبد الستار السندروسي رحمه الله (طرابلس) ونحن في عمان قد اطلعني على جملة صالحة من جعبة مشروع « نجيب الاصفر » لان السيد السندروسي كان اليد اليمنى لعبد الكريم الخليل في الآستانة وحافظ سره ، وراعيه في الليالي السود . ومن الذين ابلوا في سبيل تنبيه عرب فلسطين الى الصهيونية ولا سيما « المشروع الاصفر » ، نجيب نصار ، الكاتب الصحافي اللبناني الذي كان يقيم في حيفا وهو صاحب جريدة « الكرمل » واصله من (عين عنوب) قرب بيروت .

وايضا هذا الموضوع لخطورته العظيمة ، التاريخية ، قبل ان تقع الحرب العامة وما تلاها من بلاء لم يستطع العرب حتى اليوم القضاء على شيء من ذلك ، فاننا نحاول باذن الله وضعه في فصل جامع لاطرافه واشتاته ، اذ ما قلناه هنا ما هو الا عبارة تلغرافية منه .

وخاتمة كلامنا ان العرب كلهم شكر عميق للكاتبة العربية الكبيرة السيدة عنبرة سلام على ما جادت به عليهم من « ذكريات » على رجاء منا ان تتبع هذه الذكريات باخواتها ان شاء الله اذ جعبتها مليئة ، متعها الله بالعافية واطال في عمرها المبارك . ولتسمح لنا ان ننقل عبارتها الجميلة المثبتة في صفحة على حدة مقابل صفحة الوسمة وهي :

اقدم هذه الذكريات الى احفادي :

احمد سامح وكرمه وديالة وايلمار لمياء ومارية ومحمد علي واديب وعلية ومنى وملة .

آملة ان يجدوا فيها من اخبار جدتهم عبرا وحكايات ، ومن حوادث قومهم مفاخر وعثرات » انتهى . دمت اينها السيدة الجليلة في هناء وسعادة . ولك من ابناء الامة احفاد بالالوف .

راس المتن ــ لبنان — عجاج نويهض

* * *

قاموس الصحافة اللبنانية (١٨٥٨ ــ ١٩٧٤)

تأليف يوسف اسعد داغر ــ معجم يعرف ويؤرخ لـ ٢٥٠٠ للدوريات والصحف اللبنانية التي اصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج ــ منشورات الجامعة اللبنانية ــ المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٧٨ ــ في ٥٥٠ صفحة من الحجم الكبير

يوسف اسعد داغر ، اختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي معروف ، لـه شهرته الواسعة بين الباحثين والادباء وعلماء الشرقيات في الشرق والغرب ، على السواء ، له العديد من المؤلفات

---

(2) لما كان هاؤلاء الشهداء الكرام الثلاثة ، لهم قصة رائعة التفاصيل في كيفية وقوعهم في يد السفاح وهم في « معان » يريدون الحجاز ، واشارك المؤلفة الى هذا في ص ١٠٠ من كتاب ذكرياتها اشارة عامة ، فاننا في محاولاتنا الضئيلة جمع حقائق القضية العربية ونحن في فلسطين والاردن ، فقد قيض الله لنا ان نستقي خبر هؤلاء الاخوة الشهداء من رجالات من الرجالات من اخواننا اهل الاردن وكانوا يعملون وقتها في الحكومة العثمانية في تلك النواحي . . ولما كانت هذه التفاصيل لم تزل مطوية وهي حرية بالنشر ، فاننا ان شاء الله نعمل على وضعها في فصل قائم براسه ، ذخيرة لعرب المستقبل .

المنشورة بالعربية والفرنسية ، اهمها على الاطلاق كتابه : « مصادرة الدراسة الادبية » في اربعة مجلدات ضخمة ترجم فيها لاكثر من ١٤٠٠ اديبا من ادباء النهضة المتوفين ، بين ١٨٠٠ — ١٩٧٨ .

اول ما يطالعك في « قاموس الصحافة » دراسة مستفيضة حول ما سماه المؤلف « التفجر الصحفي اللبناني » . فبدأ بتحديد الصحيفة ، والصحفي وماهية الصحافة ورسالتها ومكانة الصحافة اللبنانية وما ترمز اليه وكيف انها منبر حضارته وعصريته ، واولى مؤسسات الفكر والرأي والتعبير ، مثلت ولا تزال تمثل الحضور اللبناني في العالم . ثم يعرض المؤلف لمحاولات تنظيم الصحافة والمهنة ولتاريخ انشاء نقابات الصحافة والمحررين والمراسلين ، ولدور الصحافة اللبنانية في الدعوة الى القومية العربية التي كان روادها الاوائل فريق من مشاهير الصحفيين اللبنانيين امثال نجيب عازوري وجرجي زيدان ويعقوب صروف وابراهيم اليازجي وفرح انطون ، وانطون الجميل ، وخليل سعادة ، وامين تقي الدين ، وابو الفضل الوليد (الياس طعمة) الخ ، اذ كانوا من ابرز الدعاة لها والعاملين على نشر فكرتها .

وحول مستقبل الصحافة اللبنانية يرى المؤلف : « ان مستقبل كل حي مرتبط ارتباطا عضويا بماضيه وحاضره وبالعوامل التي انفعلت معهما وتفاعلت في صوغ هذا الماضي والحاضر » وهذه الصحافة اللبنانية التي عرفت عبر تاريخها المديد ، بالجرأة والطموح والابتكار والتجدد واستشفاف الغيب ، ستتمكن من تأمين اسباب تطورها الصاعد ، بالرغم من العوائق والعوامل التي ترتهن ، من بعض الوجوه ، مصيرها ومسيرها .

وينهي المؤلف هذا القسم بأسماء نقباء الصحافة اللبنانية منذ تأسيسها ويشير الى مصادر سيرهم بايجاز . وهذا كله لا تقرأه في ما صدر من كتب في الماضي .

والقسم الثاني الذي يمتد من الصفحة ٤٣ الى ٣٢٨ ، هو تعريف بالدوريات اللبنانية مسوقه عناوينها على الهجاء بالعربية والفرنسية والانكليزية والارمنية واليونانية ونوع طبيعتها وطابعها ، وتاريخ صدورها باليوم والشهر والسنة ، وتاريخ انقطاعها او توقفها عن الصدور ، واسم صاحبها ورئيس تحريرها ، ومكان صدورها والاشارة الى وجود مجموعتها ، كاملة او مجزوءة ، في اي مكتبة من مكتبات العالم الكبرى ، شرقا وغربا ، ويتتبع صدى صدورها في المجلات العربية الكبرى في البلدان العربية ، والتنويه بها في كتب تاريخ الصحافة العربية ، ورقم الاجازة التي صدرت بموجبها من وزارة الداخلية اللبنانية ونشر هذه الاجازة في الجريدة الرسمية مع ذكر العدد والسنة والصفحة وتاريخ صدوره .

وقد عرف هذا القاموس بـ ٢٥٠٠ دورية اصدرها اللبنانيون ، في لبنان والخارج ، خلال هذه الحقبة الزمنية ، رتبت اسماؤها على الهجاء ، وفقا للغة التي صدرت بها ، والى جانبها من جهة اليمين رقمها المميز المسلسل .

يلي هذا القسم قسم ثالث بأسماء اصحاب الصحف ومصدريها ، من الصفحة ٣٢٩ — ٣٩٥ مرتبة اسماؤهم على الهجاء ايضا . وبعد كل اسم ، تجد الصحيفة او الصحف التي اصدرها خلال حياته الصحفية ، يقابلها الى اليمين ، الرقم الذي تحمله الصحيفة .

والقسم الرابع هو فهرس الدوريات وفقا لتسلسلها الزمني ، لحاقا من ١٨٥٨ الى ١٩٧٤ وذلك من صفحة ٣٩٦ — ٤٥٢ ، بحيث تجد بعد كل سنة معينة ، اسماء الصحف التي صدرت خلالها والى اليمين رقم الصحيفة المميز . وفي هذا القسم يتبين للقارىء الكريم ان هنالك اكثر من ألف ومائتي دورية لم يرد لها ذكر في « تاريخ الصحافة » للفيكونت دي طرازي ، اذ المعروف ان الفيكونت فيليب دي طرازي وقف في كتابه عند نهاية ١٩٢٩ .

والقسم الخامس هو ثبت بأطول الجرائد والدوريات اللبنانية عمرا ، والى جانب كل صحيفة رقمها المميز المخصص لها . واطول الصحف اللبنانية عمرا اليوم هي « النشرة الاسبوعية » التي صدرت عام ١٨٦٣ بعنوان : « اخبار انتشار الانجيل في العالم » .

والقسم السادس خاص بفلسفة اسماء الدوريات اللبنانية ومعطياتها. فقد قسم المؤلف هذه الدوريات التي عرف بها الى ٣٨ نوعا او بابا ، وذكر تحت اسم كل باب ، اسماء الدوريات التي تنتظم فيه مع ذكر الرقم المميز للدورية . فتجد مثلا تحت باب « الثقافة » اسماء المجلات والدوريات التي يغلب على طابعها الثقافة . وهكذا التاريخ والاقتصاد والمرأة والتربية والقلم ، والزراعة والبترول والرياضة .

وينتهي الكتاب بثبت شامل جاء في ثلاث صفحات ، بالمراجع العامة والمصادر التي عول عليها المؤلف في وضع قاموسه هذا ، كما اورد قانون الصحافة اللبنانية المعمول به حاليا منذ ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٢ والملحق له الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٧٧ والخاص بتعديل احكام هذا القانون .

واخيرا يجد القارىء ترجمة مفصلة للمؤلف تبدي مراحل حياته والقابه العلمية وآثاره الفكرية المطبوعة والمخطوطة ، وبعض مقتطفات مما قاله العلماء والادباء في عمله البيبليوغرافي الضخم .

هذا القاموس هو الحلقة ٣٥ من آثاره المطبوعة الى جانب ٢٥ مؤلفا مخطوطا تنتظر الصدور والكتاب مرجع واداة علمية فذة ودليل على ان الاستاذ داغر من الاوائل ان لم يكن الاختصاصي الاول بعلم المكتبات والبيبليوغرافيا والتوثيق العلمي . وهذا الكتاب المرجع يغني الباحث عن كل الكتب التي صدرت حتى الآن حول الصحافة اللبنانية ، وهو كمعظم مؤلفات الاستاذ داغر يلفت الى أهمية الاعمال التوثيقية والبيبليوغرافية واثرها في تسهيل اعمال البحث الادبي والعلمي والحاجة الماسة الى هذه المراجع في شتى انواع العلوم والفنون .

اسعد خليل

* * *

مباحث في الادب العربي المعاصر

تأليف وحيد الدين بهاء الدين — (؟) صفحة — من منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — بغداد

ان الجودة والاتقان في الاختيار مهمة صعبة واجتياز عسير غير سهل ودلالة ذات تأثير بليغ في الذوق والمعرفة ، بل انها الوصول الى مكانة عالية من القوة والروعة . والكوكبة التي اختارها الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين في كتابه « مباحث في الادب العربي المعاصر » تكاد تنتمي الى مدرسة واحدة وتسطع في افق موحد ..

واذا اخذ النقد يستقل وينفصل عن الادب ويصبح فنا قائما بذاته ويستوي على عرش الاستقلال نظرا لاهميته ، فلانه المشخص الوحيد لتبيان ما في الادب من مظاهر البهاء والحسن والجودة والقتامة والعتمة والرداءة ، والمفسر الشارح لابعادها .

الكوكبة التي اعتمدها الباحث جديرة بالعناية والاهتمام لما لها من اصالة ، واشراقات ادبية ونقدية وشعرية . والامر الذي جعل الباحث متوغلا في دراسته النقدية الجادة ، مستوعبا لاشكالها ومضامينها ، فهو عندما يقارن ويوازن لم يصدر احكاما مجانية على تلك الاعمال بل عاملها برفق وتؤدة وادراك . لقد اعتمد الباحث جوهر النصوص وتدبر اغراضها وتلمس ابعادها فضرب بسهم قادر . فالنصوص غير معقدة بل واضحة المنطلقات والاسس والمبادىء والاهداف تجلت معانيها بسهولة وبساطة ، جليلة الموضوع نبيلة الغرض كونتها صيغ بلاغية وضيئة الجرس والمضامين.

ولقد تدبر الباحث معانيها بعمق كاف واستيعاب مخلص وتفحص واضح ، فابرز خطوطها ومدلولاتها ، وكشف عن مكوناتها باسلوب طلي أخاذ وجمل بارعة متناسقة رشيقة لها صفة الابداع وقدرة الاطلاع . وليس غريبا على وحيد الدين بهاء الدين ، فهو ناقد وباحث من طراز

خاص يتميز بقدرة نابعة من اعماقه تعتمد مفاهيم نقدية عصرية وحضارية ، كانت نتيجة لتحصيل معرفة موضوعية ترتبت في اطار يمكن الجزم بانه متكامل مستنير له القدرة على كشف افكار ، واهداف الاعمال الادبية وفرز الصيغ الجمالية وايراد البراهين عند تشخيص اعمال المبدعين ..

وقد يقع الباحث في بعض الاحايين في قيود الضرورة وحدودها نتيجة حب خالص واعجاب صادق وهو اختيار الحلم والتعقل ممارسة ضرورية ، ولكن هذا لا يعني انه لم يكن نموذجا حديثا معاصرا اغتنى بمفاهيم واقانيم ومضامين ومناهج نقدية عالية متطورة اتخذت بنائيتها العلم والمعرفة ، وألحت في التدقيق والتطبيق اعتمادا على جذرية عميقة قادرة التزمت بالاحتراس والاخلاص ..

ان ترابطا حميما بين النص والنقد قد اعطى البحث نكهة صافية منهجية اصيلة قائمة على دعائم التطور والاستقراء الدؤوب . فجاءت التفسيرات لتلك النصوص تتجلى بكل وضوح وسطوع والمام قادر باوليات النقد الموجه ، فكانت بعد ان تتصارع وتتحاور بسياق مانع تصارع وتصالب وتجاهد وتصالد فتمزج متلاحمة متكاملة تدعيما لاحكام وحقائق النصوص والكشف عن دواخلها لتبدو مفعمة ببهجة الابداع .

وانه لمن دواعي الاعتزاز ان يلج الباحث ببصيرة ناقدة الى مواطن الجمال في اعمال الشعراء والادباء الذين اختارهم . لقد كان الباحث يرفد من منابع الابداع ويقتد من مقالع شامخة لا تنتهي ومن مصب لا ينضب . وقد الزمته استقراءاته المتواصلة بان للباحث حقوقا يجب ان تقضى وقواعد يجب ان تراعى وتتبع . ومن هنا قد احرز مكانة لائقة لا بد للوقوف عندها ، فهي في الصميم من الحركة النقدية والمعالجة الفكرية حيث قدر ان للشعر اتصالا حميما وارتباطا وثيقا واكيدا بهموم النفس البشرية خلال المرحلة الانسانية . والادب لا يكون ادبا رائعا ان لم يكن معبرا عن تلك الهموم ولن يكون رائعا اذا لم يكن حاويا على الاصول والشروط الفنية .. وحب الادب ان يكون صورة موحية للحياة بكل الوانها.

ولا يمكن للادب ان يكون مالكا حضوره الدائم واخضراره المشرق الا بالخروج من قيود التقليد والاجترار والرتابة ما دامت قافلة الزمن تغذ السير ومواكب الحياة صاعدة .. والادب متصل بكل التجارب الانسانية من آفاق وتطلعات وانتصارات وانكسارات وقلق وعنفوان في جميع المواقف الانسانية ..

والشعر اكثر الفنون استقطابا للقضايا الانسانية بجميع اشكالها وستبقى الاعمال الادبية الرائعة اوسمة خالدة فوق صدر الزمن واضواء مشرقة لم تعرف الذبول او الخفوت ، واصداء تتغنى بها الاجيال . ومنذ ان اخذ الناس يجتازون السبل الحضارية اصبح الشعر فنا قائما مقصودا معتمدا واصبح الذين يمارسونه طائفة من الفنانين ، ممتازين عن سواهم من الناس . وتنوعت الصيغ الشعرية بحيث تناولت كل ما اتسع لها الافق الشعري الذي يوشك ان يكون بلا حدود ، الا يكفي الشعر فخرا انه كان ثوبا فضفاضا لجدران الكعبة ؟ ان جوهر الشعر في كل لغة ولدى كل جيل هو التأثير الشديد في النفس . فهو الفن الوحيد القادر على اثارة احزاننا وتحريك مباعث الطرب فينا واهاجة الشجاعة وايقاظ اعجابنا من غير ان يلجأ الى حجة بل يؤثر في النفس تأثيرا مباشرا وبطرق خاصة ووسائل مميزة انفرد بها عن سائر الفنون الكلامية الاخرى .

وليس هذا يعني ان معاني الشعر وحدها المؤثرة بل الفاظه وموسيقاه الموحية والمعاني التي تجتاز مدلولاتها . انها مزايا تميز لغة الشعر وامتياز بجودة اللفظ والبراعة فيه واجادة المعنى وحسن التوليد والشواهد على ذلك لا تحصى . الالفاظ في الشعر ذات انسجام وايقاع خاص والمعاني المانعة وليدة الخيال مختارة بحيث تلائم طبيعة الشعر الخيالية والموسيقية . فالتجانس الرقيق في مواضع الرقة والقوة العنيفة في مواقع القوة والعنف .

لقد كان الباحث من القدرة بحيث سلط الاضواء على كل المناحي والمرافق والزوايا التي ذكرتها . وليس غريبا على وحيد الدين بهاء الدين ان يكون مكتنزا بكل هذه الدراية والمعرفة فأعماله الادبية والنقدية السابقة تنم عن ذلك . والكتاب اضافة جديرة بالعناية والاحترام والتقدير.

بغداد **محي ابو حمرة**

* * *

١ ـ خطوات على سلم الذاكرة

شعر : منذر الجبوري ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ ٣٣٦ صفحة دار الحرية للطباعة ـ بغداد

المعادل الموضوعي في شعر منذر الجبوري متكامل فهو يجمع بين المعنى الجيد والصورة الحسنة كما اكسبته تجربته الشعرية طابعا مميزا .. استمع اليه في جزء من قصيدة له بعنوان « مراجعة ثانية » حيث يقول :

يفاجئني الليل ثانية
يفتح الليل ثانية دفتر اللحظات الاخيرة
أقرأ في الدفتر المتمزق بعض القصائد
اقرأها مرتين
أردد أحرفها مرتين

٢ ـ جنون من حجر

شعر : فوزي كريم ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ ١٤٤ صفحة دار الحرية للطباعة ـ بغداد

يبدأ الشاعر ديوانه بخاطرة من يومياته : « ها أنا ثابت على الارض . ولكن ، من المناسب ان اعترف بهذا الامتهان : لقد كنت مشتاقا ، تماما ، لان اردد دائما ، مع نفسي ... آه ، ايها الهواء الطلق . ايها الهواء الجميل » . ومن قصيدة له بعنوان « اغنية اعتذار للكلام » يقول :

على قدر عزمي يجيئك عزمك : الريح والماء ...
واشياء وجهك ما تشتهي الريح والماء ،
ما اشتهي من هوى .
وهواك السلام .

٣ ـ البـــرج

شعر : ياسين طه حافظ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ ٢٢٨ صفحة دار الحرية للطباعة ـ بغداد

الشاعر يريد ان يختصر الزمن ويعبر الى المجهول بقصائده التي يحاول من خلالها ان يمسك الضوء او يحاول ان يتدخل في حل اخير لمسألة صعبة فهو يهدي احدى قصائده الى سيدة مجهولة رآها في زقاق بغدادي ثم يصف حادثا في زقاق بابلي .. يقول من قصيدة له « متابعة » :

في زمان البدايات ، والطرق الافعوية بيضاء
تلصف مثل العظام ،
امتطى ظله ، وابتدا رحلة
يقتفي الوعل في السفر الساذج

٤ ـ الشوق والكلمات

شعر : راضي مهدي السعيد ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ٢٨٠ صفحة ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد

قصائد انضجتها التجربة نضوج الكرم في الدوالي وأغنتها القريحة الفياضة فيضان الينابيع على الارض العطشى وهذا هو الشعر بعين الحقيقة فهو شعر ملتزم بكل هموم وقضايا العطر بثياب زاهية فضفاضة يقول من قصيدة له بعنوان « صحوة الخلود » :

خط الزمان حروفها ذهبا — وروى الخلود كتابها عجبا
وتمثل التاريخ صحوتها — حتى استحال فتوة وصبا
يا أمة غنت قوافلها — للمجد أغنية العلى حقبا
هل أنت ثانية معرشة — وضحاك يورق انجما وربى

الكوت ـ العراق **كاظم محمد حسين**

ظهر حديثاً



● دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات — تاليف الدكتور احمد مطلوب — ١١٢ صفحة دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع بالكويت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جامعة العيون واطروحة عاشق لبناني — شعر منثور — محمد ناجي الحاج شحاده — ٦٤ صفحة (صدر في لبنان) — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في فلسفة اللغة — تاليف كمال يوسف الحاج — الطبعة الثانية — ٣١٢ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● من اعلام الفكر والادب في فلسطين — تاليف يعقوب العودات (البدوي الملثم) — جمع مواد الكتاب واختصر بعض مواده وحرر فيه تصويبات واضافة ما جد بعد وفاة المؤلف — محمد اديب العامري ومحمود العابدي — ٦٨٤ صفحة — حجم كبير مجلد — قامت بنشره لجنة خاصة — الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان الاردن .

● من الاعماق — تاليف راجي عشقوتي — ١٣٦ صفحة — (صدر في بيروت) (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عاهات الشعراء في الجاهلية والاسلام : طبيعتها واثرها في مستوى النص الشعري — تاليف عدنان البلداوي — ١٠٨ صفحات — مطبعة الشعب ببغداد .

● اللقاءات الادبية في الجاهلية والاسلام : طبيعتها واثرها في نقد النص الشعري — تاليف عدنان البلداوي — ١٢٢ صفحة — مطبعة الشعب ببغداد .

● حرب السلام : الجولات الاربع في الصراع العربي الصهيوني — تاليف حسن نصار — مصمم الغلاف حمدي محمود — ١٣٦ صفحة — حجم كبير — دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر بالاسكندرية .

● اتجاهات الشعر العربي المعاصر — تاليف الدكتور احسان عباس — ٢٩٦ صفحة — سلسلة ((عالم المعرفة)) تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عشرة آلاف كلمة انجليزية من اصل عربي — تاليف الدكتور سليمان ابو غوش مستشار سابق بوزارة خارجية الكويت — تقديم احمد السقاف — ٤٢٦ صفحة — حجم كبير — مطابع مؤسسة فهد المرزوق بالكويت .

● جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين — تاليف عنبرة سلام الخالدي تقديم الدكتور كمال سليمان الصليبي — ٢٢٢ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● آداب السلوك — تاليف روحي جميل — ٢٤٤ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بابل العصر — شعر — محمد علي فرحات — لوحة الغلاف لعزت حمام — الخطوط لياسر بدر الدين — ٧٨ صفحة — دار النهار للنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اشعار النساء — تاليف ابي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني — حققه وقدم له الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي — ٢٩٠ صفحة — حجم كبير — ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره — دار الرسالة للطباعة في بغداد .

● بديعيات الآثاري — نظم زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري — تحقيق وتقديم هلال ناجي — ١٥٢ صفحة — حجم كبير — سلسلة كتب التراث — وزارة الاوقاف العراقية — مطبعة وزارة الاوقاف في بغداد .

● ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي ٥٢٠/٦١٣ هـ حياته وما تبقى من شعره — تقديم وتحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — ٩٠ صفحة — حجم كبير — مطبعة المعارف ببغداد .

● ديوان علي بن عبد الرحمن البلنوبي الصقلي من شعراء القرن الخامس الهجري — حققه وقدم له هلال ناجي رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين — ٧٨ صفحة — حجم كبير — دار الرسالة للطباعة في بغداد .

● من اعلام العرب في القومية والادب — تاليف عبدالله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد — طبعة ثانية — ٢٠٠ صفحة — حجم كبير — منشورات مجلة الضاد في حلب — مطبعة الاحسان بحلب .

● الحضارة : دراسة في اصول وعوامل قيامها وتدهورها — تاليف الدكتور حسين مؤنس — تصدير احمد مشاري العدواني — ٣٩٤ صفحة — سلسلة ((عالم المعرفة)) تصدر شهريا عن المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون في الكويت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شعراء الاعراب — تاليف خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق — شرحه وقدم له عدنان مردم بك — ١٩٢ صفحة — حجم كبير — منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عبد الرحمن الجبرتي ونقولا الترك : دراسة مقارنة — تاليف الدكتور عمر عبد العزيز عمر استاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية — ٤٨ صفحة — حجم كبير — منشورات جامعة بيروت العربية — مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● المسرح المرمي : يتضمن دراسة تحليلية لمسرحية غادة افاميا — تاليف علي المصري — ١٠٢ صفحة — منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مواويل طائر الخزامى — شعر — للفقيدة فاطمة رضا — اشرف على طباعته واخراجه الشاعر والفنان ياسر بدر الدين — ٨٦ صفحة — مطبعة ديمو برس ببيروت .

● عوض قشطه : حياته وشعره — تاليف حسين علي محمد — ٦٤ صفحة — منشورات كتابات الغد — مطبعة احمد السيد بالمنصورة مصر .

● جلنار — شعر باللغة المحكية اللبنانية — ميشال طراد — تقديم سعيد عقل — طبعة ثانية — ١٣٤ صفحة — دار النهار للنشر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بدر شاكر السياب حياته وشعره — تاليف عيسى بلاطه — طبعة ثانية — ٢٢٢صفحة — دار النهار للنشر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة).

● قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨/١٩٧٤ — وهو معجم يعرف ويؤرخ للصحف والدوريات التي اصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج — تاليف يوسف اسعد داغر — ٥٥٦ صفحة — حجم كبير — منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات الادبية — المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● قضايا الادب العربي القديم عامة ، والشعر خاصة : في نظر النقاد العرب القدماء (في مجال العصر الاموي) — تاليف ثريا ملحس — ٩٤ صفحة — حجم كبير — صدر في بيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● امواج وصخور ، من شعر ميشال مغربي — تقديم عبدالله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد — ٤٠٠ صفحة — حجم كبير — مطبعة صفدي التجارية في سان باولو بالبرازيل .

● التعاشيب — تاليف عبدالله كنون — ١٦٠ صفحة — حجم كبير — مطابع دار الكتاب اللبناني في بيروت .